الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة المسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

العنـــوان:

اللغة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله
ديوان الزمن الأخضر

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

فرع:
- ♦ الأدب العربي

تخصص
- ♦ أدب جزائري

إعداد الطالبة:
- شريط أمال

تحت إشراف الأستاذ:
- ♦ معمري عبد الكريم

السنة الجامعية: 2012- 2013.

إهداء

إلى من كان لهم الفضل الكبير في إيصالي إلى هذا المستوى مع الصبر والعطاء دوما

الوالدين الكريمين ﴿أمي﴾.و.﴿أبي ﴾...

إلى أخي ﴿حمزة ﴾.

الذي أتمنى له طريقا إلى النجاح والتوفيق في دراسته

إلى صديقاتي خاصة

﴿فريحة، سميحة، سمية ، وسام ، أم الخير ، هجيرة ، إيمان ﴾..

إلى رفيقات الغرفة

﴿ثلجة ، عائشة ، شبيرة ﴾..

وكل زميلات وزملائي طلبة الماستر الذين درسوا معي وأتمنى لهم كل التوفيق في الحياة العلمية والعملية

إلى كل من تذكرهم قلبي ونسيهم قلمي أهدي لهم

هذا العمل المتواضع.

شريط أمال

خـاتـمـة :

رحلة العطاء الشعري عند سعد الله طويلة لكنها توقفت عن العطاء ، نهلنا من ينابيعها الشيء الكثير ، و قطفنا باقات إزهار متنوعة من حدائق ديوانه الذي يفيض شنداه بعبق الكفاح و عطر الوطن ، و بقيت ينابيع لم نشرب منها و رياضا لم نقطف من ورودها و لكن حسبي أني سلطت الضوء على رحلة الشاعر عبر مسيرته الحياتية – أطال الله بقاؤه – و أضأت جوانب كثيرة من حياة الشاعر .

لقد عايشت الشاعر في كل ما أبدع وما أتيح من شعر و نثر ، في سكناته و حركاته ، في وحدته و عزلته ، في شكه و يقينه ، ثقافته و معاناته ، انطواءه حول الذات و انطلاقته و اندماجه بالشعب في لقاءاته الشعرية من خلال ثورة التحرير المباركة و التي مثلها شعر الكفاح و النضال .

لقد اتكأ على التاريخ ، على الماضي المجيد ، وتعلق بهذا التراث التليد و وظفه لاستنهاض الهمم على درب الثورة و المقاومة و التصدي للاستعمار الدخيل و استعان بالدين الحنيف نبراسا و هاديا في أوقات المحن ، بل و استفاد من الموروث الديني و التاريخي لكل الأمم السابقة .

و وجدت أن إيمانه ينبع من طبيعة متأصلة و أن شكله ناتج عن ظروف قاهرة تزول بزوال القهر ، لأننا نجده في وقت الصفا يبدع شعرا صافيا رقراقا لا تشوبه شائبة .

و لا شك انه تأثر بقراءاته الكثيرة ، و عرف مدارس أدبية كثيرة في بداياته – كما أشار إلى ذلك في مقدمة الديوان – و لكنه ظل ينهل من القلب و يخاطب الوجدان و الذاكرة معا و اندمج بل ذاب في الوطن ، قضية و شعبا ، كفاحا و صمودا ، و هذا ما جعله يغازل و يراقص حبيبته أحيانا ، و ظل الشاعر صامتا على تراب الوطن يشحذ النفوس بشعره و يبجل كفاح الشعب الجزائري و نضالا ته اليومية ضدّ الاستعمار الفرنسي .

و هذه أهم النقاط المتوصل إليها من خلال معايشتنا للبحث جاءت كالتالي :

1- إن التجربة الشعرية عند سعد الله كانت ثرية و غنية تجلت فيها العديد من الرؤى و التجارب منها الوطنية و الجمالية ، كما أن بواعث التجربة الشعرية عنده متعددة ، وهذا ما جعل خصائص تجربته متميزة على صعيد الشعر الجزائري الحديث.

2- و في الفصل الثاني المتعلق بالشاعر و حياته و الظروف السياسية و الاجتماعية و الثقافية التي كان لها دور بارز في تشكيل تجربته الشعرية المتأثرة بالجو السياسي السائد ، أي الاستعمار الفرنسي و تجلياته في تجربة سعد الله الشعرية . و في فترة العطاء و الإنتاج الغزيرة عند الأدباء ستظل شاهدة على عبقريته و عظمته كذلك التنقلات الكثيرة إلى العديد من البلدان العربية و احتكاكه مع شعراء آخرين و القراءة لإشعارهم و التأثر بهم .

3- و في الفصل الثالث ومن خلال تتبعي لظاهرة تطور المعجم الشعري و الظواهر اللغوية في القصيدة العمودية و الحرة عند سعد الله التي اعتمد فيها على لغة فصيحة التراكيب ، و يلاحظ أن النصوص الشعرية توظف لغة الانزياح و الخرق و الرمز ، متجنبة لغة الحديث اليومي ، و في بعض الأحيان تستعمل أسلوب السرد و الحوار ، ونتج عن هذا تعدد للرؤى الشعرية العامة إذ تصدر بعض النصوص الشعرية الجديدة عن رؤية ذاتية ، أو رؤية يتشابك فيها الوجدان الفردي بالوجدان الجماعي ، و يتفتح على آفاق اجتماعية ووطنية و إنسانية ، وهناك نصوص تهيمن عليها ظلال الرؤيا الصوفية اجترارا و تناصا و امتصاصا . ومن ثم فقصائد سعد الله اتخذت أشكالا و رؤى متباينة ، ونهلت من منابع متعددة ، فهي تجربة تتقاطع فيها النصوص الطويلة و القصيرة ، البسيطة و المركبة ، و يتداخل فيها الغنائي و السردي الدرامي و يتشابك فيها الذاتي و الإنساني ، اليومي و الواقعي ، الصوفي و المأسوي ، الفوضى و النظام ، و هي ذات مستويات شعرية متفاوتة ، فيها البسيط و المتألق و فيها السطحي و العميق و المقلد المكرر و المبدع الخلاق . كما وجدت أن الشاعر قد أعاد كتابة بعض النصوص الشعرية القديمة عن طريق استحضار معانيها و ألفاظها التي لا تنتمي إلى عصرنا و كشفت من خلال ذلك أن للقرآن الكريم في شعر سعد الله حضورا لا يخفى على الدارس الحصيفة من خلال توظيف بعض الألفاظ و العبارات مما يكشف عن بعض مكامن و منابع ثقافة الشاعر .

4- كما توصّلت في هذا الفصل إلى ظاهرة التكرار التي تجلت في شعره كما استنتجت القاموس الشعري الذي وظفه الشاعر في ديوانه من خلال الفصائل المتقاربة و الذي برز في أربعة جوانب هي :

أ- التحول من التقرير إلى التصوير

ب- اللغة الهامسة

ت- تطور المعجم الشعري بتطور قصيدة التفعيلة

ث- استخدام اللغة البسيطة .

و آمل أن أكون قد وفّقت في دراسة تجربته الشعرية و تحديد اللغة الشعرية أو على الأقل فتحت الباب أمام غيري من المهتمين لإعادة دراسته و تقويمه .

خطة البحث

الإهداء

شكر وعرفان

مقدمة

الفصل الأول : التجربة الشعرية عند سعد الله

مدخل

1-التجربة الشعرية عند المحدثين والمعاصرين

2-بواعث التجربة الشعرية

3-أبعاد التجربة الشعرية

4-بواعث التجربة الشعرية

5-خصائص التجربة الشعرية

الفصل الثاني : بيئته وحياته

أ- الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية

ب- حياة الشاعر

بين يدي الديوان

الفصل الثالث : اللغة الشعرية عند أبو قاسم سعد الله

مدخل

اللغة الشعرية عد المحدثين والمعاصرين

المعجم الشعري

الظواهر اللغوية

ظاهرة التكرار

1-تكرار الكلمة

2-تكرار الجملة أو العبارة

- خاتمة
- قائمة المصادر والمراجع
- ملخص البحث بالعربية والفرنسية

-

-

دعاء

اللهم إذا أعطيتني النجاح لا تفقدني تواضعي،
وإذا أعطيتني تواضعا لا تفقدني اعتزازي لكرامتي،
واجعلني من الذين إذا أعطوا شكروا،
وإذا أذنبوا استغفروا،
وإذا أوذوا فيك صبروا،
وإذا تقلبت بهم الأيام اعتبروا.

فـهـرس الـمـحـتـويـات

الموضـوع **الصفحة**

الإهداء

شكر وعرفان

مقدمة ..... أ

الفصل الأول : التجربة الشعرية عند سعد الله 1-24

مدخل 1

1-التجربة الشعرية عند المحدثين والمعاصرين 2

2-بواعث التجربة الشعرية 6

أ- السيرة 8

ب- الطبع والأخلاق 8

ج- البيئة 9

د- المجتمع 9

3-أبعاد التجربة الشعرية 11

أ- التجربة الوطنية 11

ب- التجربة الجمالية 14

4-بواعث التجربة الشعرية 16

5-خصائص التجربة الشعرية 19

الفصل الثاني : بيئته وحياته 25-49

أ- الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية 25

أولا : السياسية 25

ثانيا : الاجتماعية 27

ثالثا : الثقافية 30

ب– حياة الشاعر..... 37
مدخل 37
أ– مولده 38
ب– تعلمه 38
ت– ثقافته..... 39
ث– نشاطاته..... 42
ج– مؤلفاته 43
بين يدي الديوان..... 46
الفصل الثالث : اللغة الشعرية عند أبو قاسم سعد الله 50–73
مدخل 50
اللغة الشعرية عد المحدثين والمعاصرين 51
المعجم الشعري..... 55
الظواهر اللغوية 62
ظاهرة التكرار 65
أ– التكرار البياني 66
ب–تكرار التقسيم 66
ت–التكرار اللاشعوري..... 66
1–تكرار الكلمة 66
2–تكرار الجملة أو العبارة 68
– خاتمة 74
– قائمة المصادر والمراجع .....
– ملخص البحث بالعربية والفرنسية .....

مقـدمـة :

كثيرا ما يقف الباحث حائرا أمام اختيار موضوع بحثه ، وربما تواجهه من الصعاب ما يجعله مترددا لفترة طويلة بين هذا الموضوع أو ذاك ، لكني سأكون ظالما لنفسي وللأدب الجزائري ولشاعري أبو القاسم سعد الله لو قلت إنني ترددت ولو مرة واجدة في اختياري هذا الموضوع لأنه احد الأعلام البارزين في الأدب الجزائري الذي يستحق منا دراسة أكاديمية جادة و كذلك إعجابي بشعره وسأحاول انطلاقا من تلك الأسباب الرحيل إلى عالم سعد الله الشعري من خلال قصائده التي تعين الباحث على التجاور والتواصل مع النص الشعري ، وتدفعه في الوقت نفسه إلى استحضار النصوص الغائبة التي امتصها النص الحاضر بالإثبات أو النفي وبالنقل أو التعميق ، وبالتكثيف أو بالتفكيك وقد اتبعت مناهج محددة كان من أبرزها المنهج النفسي والإحصائي والفني وان وجد المنهج التاريخي فاستعماله قليل و أيضا استفادتنا من بعض الإجراءات السيميائية التي تفك رموز النص وتستنطق إشارته عن طريق التأويل خاصة أثناء دراسته عناوين القصائد وفك رموزها وطلاسمها ، كما انفتح البحث على المنهج البنيوي وقد قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة حيث تناولت في الفصل الأول التجربة الشعرية وعلاقتها باللغة الشعرية كما تناولت في الفصل الثاني المؤثرات السياسية والاجتماعية والثقافية التي سادت في العهد وتأثيراتها على شخصيته واهم المحطات في حياة سعد الله ، كما تناولت بالتفصيل الديوان واهم مواضيعه فاهم مؤلفاته ، بينما تناولت في الفصل الثالث اللغة الشعرية عند سعد الله وركزت على أهم الظواهر اللغوية الواردة في الديوان ومنها المعجم الشعري وظاهرة التكرار بجميع أنواعها بعد ذلك ذيلت البحث بخاتمة أوجزت فيها محتواها أهم النتائج المتوصل إليها في كل فصل على حدا وكان زادي في مشواري هذا مجموعة من الكتب والمصادر والمراجع التي أفادتني في بحثي هذا .

ملخص بالعربية :

اعتمد سعد الله في ظاهرة تطور المعجم الشعري والظواهر اللغوية في القصيدة العمودية والحرة على لغة فصيحة التراكيب ، ويلاحظ أن النصوص الشعرية توظف لغة الانزياح والخرق والرمز ، متجنبة لغة الحديث اليومي ، وفي بعض الأحيان تستعمل أسلوب السرد والحوار ، ونتج عن هذا تعدد للرؤى الشعرية العامة إذ تصدر بعض النصوص الشعرية الجديدة عن رؤية ذاتية أو رؤية يتشابك فيها الوجدان الفردي بالوجدان الجماعي ، وتنفتح على أفاق اجتماعية ووطنية و إنسانية ، وهناك نصوص تهيمن عليها ظلال الرؤية الصوفية اجترارا وتناصا وامتصاصا ، ومن ثم ، فقصائد سعد الله اتخذت إشكالا ورؤى متباينة ، ونهلت من منابع متعددة فهي تجربة تتقاطع فيها النصوص الطويلة والقصيرة ، البسيطة والمركبة ، ويتداخل فيها الغنائي والسردي الدرامي ويتشابك فيها الذاتي والإنساني ، اليومي والواقعي ،الصوفي والمأساوي الفوضى والنظام ، وهي ذات مستويات شعرية متفاوتة ، فيها البسيط والمتألق وفيها السطحي والعميق والمقلد المكرر والمبدع والخلاق ، كما وجدت أن الشاعر قد أعاد كتابة بعض النصوص الشعرية القديمة عن طريق استحضار معانيها وألفاظها التي لا تنتمي إلى عصرنا وكشفت من خلال ذلك أن للقران الكريم في شعر سعد الله حضورا لا يخفي على الدار الحصيف ، ومن خلال توظيف بعض الألفاظ والعبارات مما يكشف عن بعض مكامن ومنابع ثقافة الشاعر وقد تجلت في شعره ظاهرة التكرار وكذلك التغير الذي تجلى في اللغة الشعرية والذي برز في الربعة جوانب :

أ- التحول من التقرير إلى التصوير

ب-اللغة الهامسة

ت-تطور المعجم الشعري بتطور قصيدة التفعيلة

ث-استخدام اللغة البسيطة

résumé à française

Une bonne chance **a Saad Allah** dans le phénomène du développement du dictionnaire et les phénomènes linguistiques dans le poème verticale et le terrain volcanique sur une langue alors le cri des s'assemblers , est comme que les textes capillaires emploie la langue de l'enlèvement et la maladresse et le symbole , est comme la langue de la conversation journalière , un loyal à la morsure des temps tu/elle utilises le style de l'exposition et le dialogue , et il a été résulté de cette multiplicité pour les révélations générales capillaires quand certaines les nouvelles capillaires textes émanent d'une vision personnelle ou une vision la sensation seulle se chevauche en la à la sensation collective , et tu/elle t'ouvres sur vagabond sociabilité et un patriotisme et une humanité , et là-bas est des textes que la contrôlent les ombres de la vision un Sufisme rumination et vous/ils vous pressez et une absorption , d'ici , alors les poèmes de la bonne chance du Dieu ont adopté un paradoxe et des révélations différentes , et elle s'est abreuvée de des sources nombreuses et puis elle est une expérience les longues textes se séparent en l'et court , simple et le véhicule , et il s'immisce dans le lyrique et mon exposition dramatique et il se chevauche en elle personnel et humain , journalier et le tangible ,le soufi et tragique l'anarchie et un-Nazzam , et elle est entité plan capillaire disparates , en la le simple et le radieux et en la l'extérieur et profond et le clef répété et le créateur et le créateur , comme je/tu/elle ai trouvé que le poète a réécrié certaines les vieille capillaire textes par voie de l'évocation de sa signification et ses mots qui peut-être n'appartiendront pas à l'âge je/tu/elle ai décelé à travers ton humiliation pour le mariage généreux dans le cheveux de la bonne chance du Dieu une présence non il cache sur la maison judicieux , et de durant un emploi à la morsure des mots et les expressions de quoi il décelle il gémit certaines embuscades et les sources de la culture du poète et le phénomène de la répétition est devenu clair

dans son cheveux et comme le changement que peut-être deviendra clair dans la langue capillaire et qui est à un riz dans de taille moyenne des côtés:

a- S'éloignant du rapport à la photographie
b- La langue chuchoteuse
c- Le dictionnaire capillaire s'est développé au développement du poème du pied d'un mètre prosodique
d- L'utilisation simple de la langue

الفصل الثاني

بيئته وحياته

الفصل الأول

التجربة الشعرية عند سعد الله

مقدمة

الفصل الثالث

اللغة الشعرية عند سعد الله

خاتمة

فهرس المحتويات

مصادر ومراجع

B

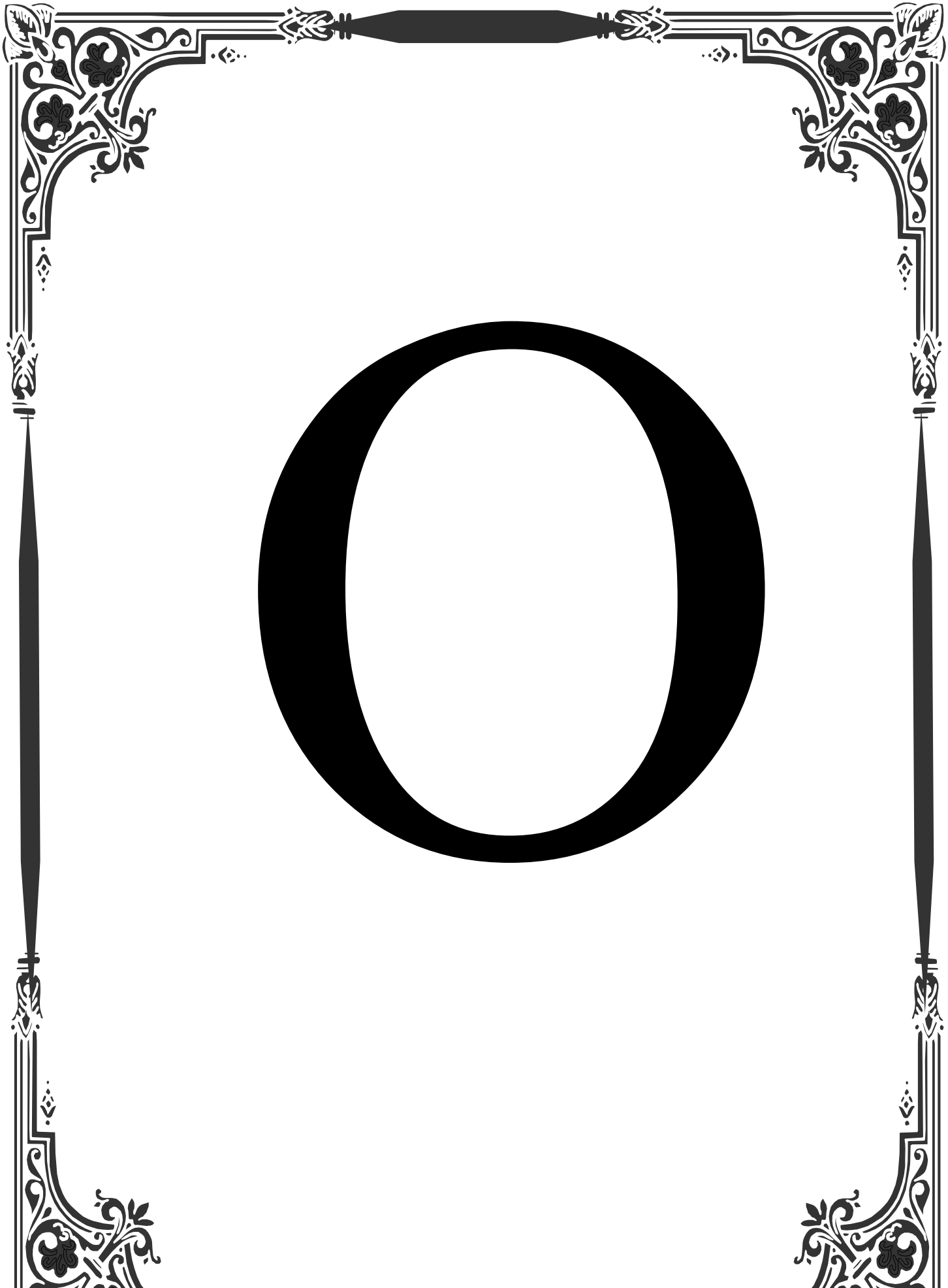

كلمة شكر

قال تعالى

[رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ]

سورة النمل الآية 19.

و قال ε : [من لم يشكر الناس لم يشكر الله]

بعد الشكر لله الذي وفقنا في إتمام هذا العمل المتواضع نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا وساهم في انجاز هذا العمل من قريب وبعيد كذلك نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف « معمري عبد الكريم » على توجيهاته ونصائحه التي قدمها لنا والذي منحنا كل وقته كما نشكر كل من الأساتذة الذين كان لهم الفضل الكبير في وصولنا إلى هذا المستوى

خاصة (حميد معمري ، خالي يعقوب ، ثلجة ، ربح ،فطيمة ، مدير مؤسسة هواري بومدين " حمدي الحاج الصادق)

وكل من علمونا وزرعوا فينا الطموح والنجاح.

كما نشكر مكتبة «الصديق » على المساعدة التي قدموها في إخراج هذا البحث.

شريط أمال

مدخل:

إن تعريف التجربة الشعرية شيء في منتهى الصعوبة ، على الباحث ، ذلك لأنها شيء يعانيه الشاعر أو الأديب في دخيلة نفسه ، و شيء من الإيجاز والتركيز يمكن أن نقول : أن التجربة الشعرية تعني معايشة كاملة لإحساس معين بدءا بالملاحظة إلى غاية تخلقه فنينا في شكله النهائي . عالم له توهجه و اقتداره علي الحلول فنيا بشكل معين يدفعنا دفعا إلى خلقه في إطار فني ، كما تخلق معنويا على المستوى العاطفي و الفكري . وأن معايشة إحساس معين لا تعد تجربة شعرية إلا إذا تحققت فعليا في عمل فني ، فإذا استطاع العمل الشعري أن يقتنص إيقاع هذه التجربة في تناغم و اشتياق ، فقد أعطى تجربة شعرية ناجحة ، أما إذا أفلت الخيط من يده ، و تخبط المبدع في رحلة التعبير من بدء إلي الختام ومن ختام إلى بدء ، ومن توهج إلى انطفاء ، أو من انطفاء ، إلى توهج دون وعي بنائي لما يفعل فقد أحبط تماما في إعطائنا تجربة شعرية حقيقية .

التجربة الشعرية عند المحدثين و المعاصرين :

الأدب نشاط أبداعي يتشكل في شكل لغوي ، و معنى هذا أنه تجربة إنسانية للأديب المبدع تأخذ طريقها إلى الآخرين عن طريق الشكل اللغوي الذي تتشكل فيه ، لا غير ، فالأديب يلاحظ الواقع ، و تلقى منه الكثير من الانطباعات التي تسقطها علي ذهنه اليقظ ضرورة الحياة العادية ، و هو لا يبدد هذه الانطباعات بل يختزنها في اللاشعور ، وهذا الاختزان ابعد ما يكون عن التجميد ، انه الاحتفاظ بهذه الانطباعات حية متفاعلة مع الكم الهائل من انطباعات التجارب الماضية و الحاضرة و انطباعات التجارب المتخيلة "ومع تجدد الواقع واختلاف المواقف وتباين التجارب ، تمتزج التجربة الأدبية الفاعلة ، وتتألف ، و تسعى سعيا دائبا إلى أخذ شكلها الغوي المناسب ، الذي يجعل منه كيانا محسوسا حاليا "[1] ولا بد للشاعر في أثناء ذلك كله من أن يضغط علي نفسه وعقله حتى يستخرج منهما الأحاسيس و الأفكار الحبيسة ، حتى تنبض تجربة بالحياة " إنه خالق تجربة ، و لا بد له من أن يعاني فيها من حين تخلفها في قلبها إلى حين اكتمالهما ، يعاني من معانيها و في لغاتها و صورها و إيقاعاتها دفعة إلي ذلك في أول الأمر انفعال مبهم إزاء حقيقة من حقائق النفس أو حقائق الوجود ، ويأخذ هذا الانفعال في التخلق و التولد عن طريق ما يحرك فيه من أحاسيس و يثير من أفكار و عواطف ، و ينقل إلينا ذلك في كلمات موسيقية لها دلالات مختلفة عبر التاريخ " [2]

فالتجربة الشعرية عبء و مشقة وجهد " غير أن هذا الجهد أنصب على الجاهلين على الصياغة وصقل العبارات وتنقيحها كما حدثونا عن زهير وحولياته المشهورة "[3] ولا تكتمل التجربة للشاعر إلا إذا كان ممن يتعمقون الحياة ويسبرون أغوارها ويتغلغلون في كوامنها ويحاولون النفوذ إلي دخائلها وأسرارها المستغلقة لا في مظاهرها الكبرى فحسب،بل في كل مظهر مهما كان صغيرا أو زهيدا.

---

[1]– الربيعي محمود :قراءة الشعر ،دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ،القاهرة ،مصر د،ط،1997

[2]– ضيف شوقي :في النقد الأدبي ،دار المعارف ،القاهرة ،مصر ،ط6 ،1981،ص 143.

[3]– ضيف شوقي :في النقد الأدبي ،دار المعارف ،القاهرة ،مصر ،ط6 ،1981،ص 144.

إن موضوع التجربة الشعرية ، والبحث في ميدان نظرية الشعر تناوله بالدراسة كل من تصدى للكتابة عن الشعر ، وبالرغم من كثرة الكتابة على هذا النحو ، فإن الموضوع لا يزال من الموضوعات المبهمة الغامضة ، وربما لإرتباطه بنفسية الشاعر المبدع " و ربما الصعوبة التحديد الواضح باعتباره مبحثا من المباحث الجمالية "[1] . ليس كل ما ينظمه الشعراء من شعر يعد تجربة شعرية كاملة ،إذ لابد للتجربة من مواد كثيرة تستوفيها حتى تصبح عملا شعريا تاما ، وهي مواد مرادها إلى أنها حدث له بدء ونهاية ، حدث قائم بذاته إذا قرأه أو سمعه أحد تراءى له في صورته بينة وعلى شاكلة لم يسبق له أن قرأها أو سمع بها من قبل

وهو حدث وجداني أو عاطفي ، حدث ينبع من نفس صاحبه ومن عقله ومن حواسه ودخائله النفسية والفكرية الظاهرة و الباطنة . وعلى حد تعبير سعد الله " في اعتقادي أن إنتاج المرء هو جزء منه وصورة له " [2]. حدث عاشه أوضح ما تكون المعيشة ،عاشه في تريث وبطئ يتأمل فيه متنقلا من جزء إلى جزء متمهلا كمن يصعد إلى قمة جبل شامخ .

لقد استطاع الأستاذ (رتشاردز) في ضوء اتجاهه التجريبي في النقد والقائم على التحليل السيكولوجي أن يعرف التجربة الشعرية على أنها " نزعة أو مجموعة من النزعات تسعى إلى أن تعود إلى حالة الهدوء و السكون بعد الذبذبة "[3] وتتكون هذه التجربة الشعرية من انفعالات هي بمثابة الإحساس الذي تولده الاستجابة بما تتضمنه ذبذباتها من تغيرات جسدية ومن مواقف و أوضاع نفسية " و هي الدوافع التي تهيئها الاستجابة التي تؤدي بنا إلى نوع هو بعينه من السلوك، فهي بمثابة الناحية الخارجية من الاستجابة ، على أنه ينبغي أن نضع في الاعتبار أن هذا التهيؤ يحل محل السلوك الحقيقي و هذا هو الشكل الأساسي للتجربة الشعرية " [4] غير أننا نلاحظ بعض الغموض يكشف هذا التعريف لما يشمل عليه من مصطلحات نفسية ، فهو يشمل كل التجارب و ينطبق عليها إلا أن (هاملتون) أكثر تحديدا أو توضيحا من (رتيشاردز) حينما قال : " نظرية الشعر في جوهرها تعنى

---

[1]– الورقي السعيد ،لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفكرية و طاقتها الإبداعية ،دار النهضة العربية ،بيروت لبنان ،ط3 ،1984،ص 54

[2]– سعد الله أبو القاسم ،أفكار جامحة ،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ،د،ط،1988 ،ص 184.

[3]– رتشاردز ،العلم و الشعر ،ترجمة مصطفى بدوي ،مكتبة الانجلو المصرية ،القاهرة ،د،ط،د،ت،ص 19.

[4]– المرجع السابق ،ص 24.

بالتجربة الخيالية التأملية التي تنشأ عن طريق وضع الكلام في نسقا من الوزن الخاص ، كما تعني بقيم هذه التجربة " [1] و هو مفهوم قريب منه إلى حد كبير من المفهوم الذي ذكره الدكتور غنيمي هلال حينما .

إن التجربة الشعرية هي " الصورة الكاملة النفسية أو الكونية التي يصدرها الشاعر حين فكر في أمر من الأمور تفكيرا يتم عن عميق شعوره وإحساسه " [2] .

إن التجربة الشعرية هي " إفضاء (Stephan spende) و قد رأى ستيفن سيندر بذات النفس ، بالحقيقة كما هي في خواطر الشاعر وتفكيره ، هي في إخلاص يشبه إخلاص الصوتي لعقيدته ، و يتطلب هذا تركيزه قرأه و انتباهه في تجربته " [3]

و عليه فالتجربة الشعرية إذا ليست عملا سهلا ، بل هي عمل صعب " لأنها خلق وإيجاد لحدث شعري وجداني " [4] حدث يتدرج فيه الشاعر خطوة خطوة ، و هو لذلك يرجع فيه إلى ما عمله قبله ، بل يرجع إلى ما عمله الشعراء السابقون ، ليستوحي و يستضيء في أثناء عمله ، و قد استوحى سعد الله تجربته الشعرية من عدة روافد لعل أهمها كما يقول :

" .... كما قرأت لجبران خليل جبران كل كتبه تقريبا ، ثم توالت اهتماماتي بالشعر المهجري و بشعر مدرسة خصوصا شعر أحمد زكي أبو شادي ،و تابعت معركة القديم و الجديد في مصر على صفحات (الرسالة) و (الثقافة) و غيرهما ...." [5] .

فالتجربة الشعرية " رحلة لها كل ما يميزها بحيث إذا انتهي منها شعر أنه نهض بعمل جديد كامل ، لم تتنازعه فيه أعمال أخرى و لا عاقته دون تمامه عقبات أو عثرات " [6]

---

[1]– الورقي السعيد لغة الشعر العربي الحديث ، ص 55

[2]– هلال غنيمي ،النقد الأدبي الحديث مصادره الأولى فلسفاته الجمالية ومذاهبه ،دار و مطابع الشعب ط3،القاهرة ،د،ت،ص 390

[3]– الصباغ رمضان ،في نقد الشعر العربي المعاصر دراسة جمالية ،دار الوفاء لدينا الطباعة و النشر ،مصر ،ط1،1998 ،ص 102

[4]– صيف شوقي ،في النقد الأدبي ،ص 143

[5] –سعد الله ابوالقاسم ،أفكار جامحة ،ص 184

[6]– ضيف شرفي ،في النقد الأدبي ،ص 138

إن التجربة الشعرية كتجربة فنية عالم قائم بذاته ، كما يراها الدكتور مصطفي بدوي فهي " تمكن الشاعر أو القارئ من التخلص من العوامل الشخصية التي يحسبه في حدود ذاته الصيغة بمشاركته بقدر أكثر في صفة الإنسانية العامة " [1]

و الواقع أن التجربة الشعرية كتجربة فنية ، تجربة مدارها عالم مستقل قائم بذاته ، لا يعني بالفعل الاجتماعي ، سواء أكان فعلا أخلاقيا أو دينيا أو سياسيا أو حتى فكريا " فهذه الأفعال الاجتماعية و إن وصلت إلى أن تكون غايات إلا أنها في الواقع رسائل لغايات أخرى لارتباطها أساسا بقيمة المنفعة ، بعكس التجربة التي هي غاية في ذاتها " [2]. فالتجربة الشعرية تقدم بتنظيم الذهن لأنها تتميز بالنظام البديع ، وعلى هذا النحو فهي تشجع على إيجاد عادة التأمل في الذهن " وبهذا يستطيع الشعر خاصة بالنسبة لأولئك الذين يتميزون إزاء الألفاظ و الأوزان و الإيقاع ، أن يساعدهم على إدراك ماهوعميق وهام في الحياة " [3]
وفي هذا السياق يقول سعد الله :[4]

كم من شعوب أضاء الشعر منهجا إلى الحقيقة فانجابت
الشعر قنبلة موارة [5] لهبـــــــا إذا تفجرت الأوزان تلقيـــها
الشعر معجزة الإلهام طافـــحة من الينبوع الإلهي في شواقيها
الشعر باقة ريحان تصففها أيدي الملائكة و الأحلام تهديها

إن التجربة الشعرية هي تجربة لشاعر ،على صلة بالحقائق الكونية التي تتقدم بها التجربة ، كما أن مركزها هو الشاعر ، والعلاقة غير المرئية بين الشاعر و العالم – أي الخفية – هي عنصر جوهري في هذه التجربة، إنها بمثابة الخط الناظم لذات الشاعر،وعالمه فالتجربة الشعرية ليست مجموعة من المعاني المتناثرة يفرغها الشاعر في قوالب من الشعر كما يشاء ، وإنما هي كل وجداني متماسك متناسق تتبادل أجزاءه التعاون

---

[1]– بدوي محمد مصطفى ،دراسات في الشعر والمسرح،دار المعرفة ،القاهرة ،مصر ،د،ط، 1960 ،ص 64
[2]– الورقي السعيد ،لغة الشعر العربي الحديث ،ص 61
[3]–المرجع السابق ،ص 61
[4]– من قصيدة (هزاز الشعر) ،الزمن الأخضر ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،د نط ،1985 ،ص(71.70)
[5]– موّارة =يقال ريح موارة = مثيرة للتراب ،منجد الطلاب ،دار المشرق، بيروت ،ط32 ،1986 ،ص 753

في التعبير عنه،فلكل جزء دلالة لا تقصد لذاتها ، وإنما ليتم بها و بدلالات أخرى تصوير حالة وجدانية عايشها الشاعر بجميع عناصرها و دقائقها حتى استبانت له بجميع تفاصيـــلها و تفا ريعها .

" فالشاعر والمعاني والألفاظ والإيقاعات الموسيقية تتولد في نفسه ، وتنبثق فيها وحدة تعمها من فاتحة التجربة إلى خاتمتها في توازن دقيق وسياق محكم ، ولكل بيت مكانه المرقوم ، فلا فوضى ولا تشويش ، وإنما بناء كله نظام والتئام ، وكله ضبط وأحكام " [1]

ومنه فالتجربة الشعرية أساسها تجربة لغة ، لأن الشعر هو الاستخدام الفني للطاقات الحسية والعقلية والنفسية والصوتية للغة واللغة الشعر هي الوجود الشعري الذي يتحقق في اللغة انفعالا وصوتا موسيقيا بأنغامها وإيقاعاتها ، أطرها التركيبة و التشكيلة . جانب اللغة الشعرية . ومن مجموع هذه الجوانب يكتمل لدينا الوجود الشعري الذي نطلق عليه القصيدة الشعرية محور دراسات في التجربة الشعرية لسعد الله . والتجربة الشعرية على هذا المنوال هي ميدان دراسة هذا البحث وذلك من خلال ديوان الشاعر " الزمن الأخضر " الذي جمع فيه جل قصائده التي كتبها في مجموعاته الشعرية " النصر للجزائر " وثائرا وحب "

وعليه يجب " أن نتخذ العلاقات اللغوية ، والرموز ، وأساليب التصوير والإيقاع الخاص سبيلنا إلى الكشف عن المعنى الشعري للشعر ، ولا نبدأ بفكرة مجردة في الدماغ نحاول البحث عنها ، ونحن إذا تأملنا الأمر حيث أدركانا أن المعنى الشعري ليس سوى الشكل كما إن الشكل ليس سوى المعنى الشعري " [2] إننا نستطيع أن نقول أن التجربة الشعرية تجربة فنية متميزة ، وأنها تعنى بشكل عام بالانفعال الشعري الذي تولده الاستجابة للدوافع المثارة في القصيدة الشعرية ، أما بواعث هذه التجربة وخصائصها فهو موضوع اللغة الشعرية .

[1]– ضيف شوقي ،في النقد الأدبي ،ص 145

[2]– الربيعي محمود ،قراءة الشعر ،ص 130

بواعث التجربة الشعرية :

اختلف الشعراء (*)في رأيهم عن خلق القصيدة " وأن حديث الشاعر عن تجربته الشعرية كحديثه عن تجربته في الحب ، كل جميلة ، بمذاق ،وكل قصيدة هي غرام جديد على حد تعبير صلاح عبد الصبور " [1].

كما يتفق نزار قباني مع صلاح عبد الصبور فيما ذهب إليه إذا يقول : " القصيدة كالحب إذا فهمنا أن الحب يأتي ليغير العلاقات المكرسة ، " [2] .إلا أنه يشبهها بالإنسان " القصيدة تلد نغما ، تبدأ مادة غضروفية ، مضغة ، وهذه تحتاج إلي لحم وعظام تكسوها ، الكساء يأتي من الثقافة و التجارب والرحلات ، والإلهام " [3] . إلا أن تخصاهم حول خلق القصيدة قادهم للاختلاف في تفسير مضمون التجربة الشعرية وبواعثها ، أهي التجربة الشخصية ، الذاتية التي تتخمر في نفس الشاعر أو الأديب ، وعنها يشعر به في قرارة نفسه ودخيلة فؤاده من مشاعر فردية خاصة علي طريقة الرومانسيين " فكأنها نسك بالعاطفة ، واعترافات بحقائق النفس ، وأسرار الكون يتناول منها الشاعر فيما يتناول لواعج الحب ، وحرقة اليد الذات أو همسات الغربة والحنين ، أو لمسات الوطنية والجمال " [4] ، أم هي التجربة الشخصية المتفتحة علي الإنسانية التي يرى فيها القارئ ذاته وعواطفه ، ويتجاوب معها ، " وكأن صاحب التجربة لم يكن يفكر في نفسه ، أو يكشف عن ذات فؤاده فحسب ، بل كان يعبر عن تجربة الآخرين ، وينقلها بأمانة ودقة ، ومن ثم فإن هذه التجربة ذات نزعة إنسانية عامة " [5] ولقد ذهب الناقد الجمالي " إلى أن التجربة الذاتية . (froutché)كروتشيه وإن صدرت عن وجدان خاص إلا أنها تحمل في نفس الوقت مقومات الموضوعية لأن الشاعر يجعل ذاته مصدر ، الموضوع ،"[6] فالتجربة الشعرية إذن هي ملاذ الشاعر " فإذا كان الإنسان العادي غير قادر على لملمت أطراف التجربة التي

---

[1] – الصباغ رمضان ،في نقد الشعر العربي المعاصر دراسة جمالية ،ص 52.

[2] – صبحي محي الدين ، مطارحات في فن القول محاورات مع أدباء العصر ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق د،ط،1978 ،ص 103

[3] المرجع السابق ،ص 110

[4] – عفيفي محمد الصادق ، النقد التطبيقي و الموازنات ،مكتبة الوحدة العربية ،الدار البيضاء ،المغرب ،د،ط،1972 ،ص 65

[5] –المرجع السابق ،ص 66

[6] – عفيفي محمد الصادق ،النقد التطبيقي و الموازنات ،ص 67.

خاضها ، وتجميع أشلائها المبعثرة ، فإن الشاعر الحاذق ينظم خرزاتها في سلك واحد ويستخلص منها نتائجها ويربط بينها ربطا خفيا بما يضغط هذه العلاقات في أعماقه ولكنها تقفز إلى القمة حين ينفجر البركان ،و يتطاير شظى الأحداث المترسبة في تلك الأعماق في غير نظام كما يظهر للرائي ، وإن كانت تنطلق من الرؤية الفنية الخاصة التي كونها الشاعر من عصارة اتصالاته واحتكاكاته ، ومن خلال تناقشه عما يحيط به " [1] . وإذا كان خلق القصيدة حالة خاصة ، فالشاعر عند ما يبدع لا يعبر عن الحياة ، بل يخلق حياة أخرى معادلة لتلك الحياة ولكن في نفس الوقت يرى أن الشعر ليس مقطوع الصلة بما سواه ، " بل إن الشعر ينمو من داخل التراث الشعري ، والحوار الذي يدور في نفس الشاعر هو حوار بين تراثه الشعري وبين العالم ، وإذا لم يرتبط الشاعر بتراثه الشعري كما يرتبط بالعالم فلا مجال لعده شاعر " [2] .

لقد خصصنا هذا المدخل للحديث عن التجربة الشعرية وبواعثها التي تؤثر في بعثها و تعميقها ومد جذورها إلى أقصى حدود النفس والحياة ، والواقع ، إن التجربة ، هي باعث الخلق الشعري وهي في الوقت نفسه نتيجة لبواعث نفسية كثيرة – لا حصر لها – لكن ضرورة الدراسة الأكاديمية تقتضي ذكر بعض هذه العناصر و لعل أهمها : السيرة – الطبع والأخلاق – البيئة – والمجتمع...

أ- **السيرة :** للولوج إلى البواعث الحقيقية للتجربة الشعرية لابد من الإلمام بخفايا النفس البشرية ، ومن معرفة التيارات المهمة التي تنازعت نفسية الشاعر من خلال سيرته ، وعليه فقد خصصنا الفصل اللاحق للوقوف علي الظروف السياسية الاجتماعية والثقافية المحيطة بعصر الشاعر فالإلمام بالسيرة أمر ضروري ، لكنه لا ينبغي أن يكون مجالا للتحقيق والتدقيق ، حتى تتحول إلي غاية مكتفية بذاتها ، دون ارتباط بخط التطور النفس للشاعر ، إن السيرة ضرورية بقدر ما تجعلوا التجربة وتظهرها وعليه " فالنقد النسوي

[1]–الصباغ رمضان ،في نقد الشعر العربي المعاصر دراسة جمالية ،ص 98.

[2]– المرجع السابق ،ص 53

يتوسل بالسيرة بالقدر الضروري لفهم البواعث الداخلية الوجدانية التي أدت إلى إفاضة التجربة الشعرية " [1].

ب-**الطبع والأخلاق :** يصعب على الدارس أن يصل إلى مفهوم دقيق لطبيعة التجربة عند الشعراء – خاصة – الرومانسيين وموقفهم منها " ذلك لأن الشعراء يختلفون فيما بينهم اختلافا غير قليل في هذا المجال ، حسب البيئة والنشأة والثقافة والمزاج " [2] وعليه فإن معرفة أخلاق الشاعر وطباعه ، يسهم بقدر كبير في تحليل وكشف حقيقة العوامل التي تتوالد وتتدافع وراء ما يسفر وينجلي من معان واضحة في القصيدة وعليه يجب الإحاطة بطباع الشاعر لأن " الطبع هو الذي يؤدي إلى تنازع الشاعر مع المؤثرات الخارجية " [3] فيحفزه على الإبداع الأدبي ، فهو الشرارة التي تبعث الشاعر على البوح بخلجات نفسية فيبلورها في قصائد شعرية ، وهكذا فإن طباع الشاعر ونفسيته يلعبان دورا مهما في البواعث الخارجية فهما اللذان يقرران مواقفه مما يحيط به من أشياء ، فمهمة الشعر هي الكشف عما استتر من لواعج النفس وخلجاتها ، يخرجها من حالة اللاشعور المبهم الغامض إلى توضيح الحقيقة ، تمتزج فيها الفردية الذاتية بالرؤية الإنسانية وكلما كانت الدوافع الاستشرافية قلقة ، دفعت بالعملية الإبداعية خطوات ، وفتحت آفاقا أخرى للمعرفة والفكر .

ت- **البيئة :** لو نظرنا إلى الآثار الشعرية ، برأينا أن المواضيع التي يتصدى لها الشاعر هي ، غالبا ، مستقاة من بيئته ومحيطه الذي يحيا فيه ، وهذا ما لمسنه في ديوان الشاعر "الزمن الأخضر " فجل مواضيعه مستقاة من محيطه . فالجاهلي لم يكد يتخلى عن ذكر الناقة والبقرة الوحشية ، وما يحيط به من صحراء قاحلة " فالشعر بذلك ليس سوى وجه من وجه التعبير عن تصارع الإنسان بما يحيط به ،وبما يفرض عليه من مؤثرات في سعيه لتحقيق ذاته ودأبه وراء السعادة " [4]

---

[1] – الحاوي إيليا ،نماذج في النقد الأدبي و تحليل النصوص ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،ط2 ،د،ت ،ص 53.

[2] –القط عبد القادر ،الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ،دار النهضة العربية ، بيروت ،ط2 ،1981 ،ص 271.

[3] الحاوي إيليا ، نماذج في النقد الأدبي و تحليل النصوص ،ص 81

[4] المرجع السابق ،ص 83

وهكذا فإن البيئة تؤدي للشاعر موضعه ، فتزيد من قدرته على الخلق والكشف وتنمية صوره ومعانية ، ومنه فقيمة البيئة المادية ليست في الموضوع الذي تبذله للشاعر بل في قيمة الصور وكثرتها التي تمده بها للتعبير عن انفعالاته ، ومنه تصنف على أن التجربة سحرا وجمالا ، يقول سعد الله "والواقع أن البيئة تلعب دورا رئيسيا في اتخاذ المرء نمطا أدبيا معنيا "[1]

ث-**المجتمع :** إن الشاعر لا يدرك حقيقة تجربته إلا إذا أخرجها من حدود نفسه الضيقة إلي حدود المجتمع الذي يحيا بكنفه فالمرء يتوهم – أحيانا – إن مشكلته تكمن في نفسه ، بينما تكون ، في الغالب في مجتمعه بقدر ما هي في نفسه ، أو هي انعكاس لذاته في المجتمع بقدر ما هي انعكاس للمجتمع في ذاته ، فمن مهام الشاعر في كل عصر " أن ينفذ بحدسه وتجربته إلى أعماق قضايا العصر ... للتعبير عن واقع الحياة اليومية وما فوق الواقع وما دونه " [2] ، والعالم الاجتماعي على نفس الشاعر ويفرض عليهما قيما وحدود تشعرها - غالبا – بالعجز والضعف ، لعل ردة الشاعر على عادات وتقاليد مجتمعه الموروثة ورفضه لواقعه هي الباعث الجذري لبعض التجارب الشعرية ، لذلك نجد هناك تصاد مابين نفس الشاعر التي قريب أن تتحقق ذاتها والواقع الاجتماعي الذي يصيبها بالكتب و يحيل رغباتها ويوجه سلوكها ، وهذا الاصطدام - بينهما – يبعث في نفس الشاعر سورا عظيمة من سور الانفصام والشقاق ، وتمزقا وبؤسا بين الشك واليقين ، بين التقليد والتجديد ، وهذا ما جعل الكثير من شعراء الحداثة والمعاصرة * يتمردون على طرق التعبير التقليدية نتيجة تأثرهم بالأدب الغربي يقول سعد الله في هذا السياق : " .... غير أن اتصالي بالإنتاج العربي القادم من المشرق – ولا سيما لبنان – وإطلاعي على المذاهب الأدبية والفكرية والنظريات النقدية ، حملني على تغيير اتجاهي ومحاولة التخلص من الطريقة التقليدية في الشعر " [3]

كما نجد أن أدونيس يدعو إلى خلق حساسية شعرية جديدة ، وتذوق جديد وفهم جديد ومعني ذلك في الشعرات نتجاوز طرائف التعبير التقليدية ، ومقاييس النقد القديمة الشفوية

---

[1] سعد أبو القاسم ،أفكار جامحة ،ص 181.

[2] صبحي محي الدين ،مطارحات في فن القول ،ص 73.

* شعراء الحداثة نذكر منهم :أدونيس ،صبرا إبراهيم صبرا ،نزار قباني ...

[3] سعد الله أبو القاسم الزمن الأخضر (المقدمة) ،ص 17.

الخطابية ، وتجاوز الأنواع الأدبية القديمة ، من أجل تأسيس نوع جديد من التعبير ، بحيث تصبح القصيدة مثلا " كتابة جديدة ، ليست وزنا بالضرورة ، وليست لا وزنا بالضرورة وإنما هي إيقاع وزني نثري ، أو نثري وزني ، وهكذا تصبح القصيدة شكلا مفتوحا ، وهذا يعني تجاوز مفهوم الشعر كما ورثناه ، وتحديد جديد للشعر "[1] ولا بد للشاعر العربي المعاصر من أن يتخطي قيم الثبات في تراثه الشعري القديم بخاصة ، وفي تراثه الثقافي بعامة ، لكي يقدر أن يبدع شعرا في مستوي اللحظة الحضارية التي يعيشها ، كما ينبغي أن ننتبه –أيضا- أن ثمة كثيرا من المواضيع المثيرة بذاتها وطبيعتها الخاصة ، فالأزمات . القومية والوطنية والأخلاقية والاجتماعية والجمالية ..... هذه كلها تحرك إعصار النفس وتدوي فيها ،مما تجعل الشاعر مهيئا لقول الشعر .

ومن هنا يمكن القول " أن كل عناصر الشعر تتجمع لدي القصيدة ، ثم يسكب عليها من روحه فتتألق التجربة ، وتلتهب العاطفة ، ويثور الخيال ، وتتحرك الموسيقي ، ويوحي اللفظ ، و يهتز الأسلوب ، ويتكون من ذلك عناصر الشعر الخالص

الشعر الذي هو فن رفيع ، الشعر الذي تنفخ فيه روح الشاعر كل قوى الجمال والمتعة والآثار والتأثير "[2] وهذا ما لمسناه في ديوان سعد الله وحرك فينا المشاعر لدراسته دراسة مستفيضة تليق به والتجربة الشعرية المتميزة على صعيد الأدب الجزائري الحديث .

أبعاد التجربة الشعرية :

للتجربة الشعرية أبعاد كثيرة ، سأتناول منها : التجربة الوطنية والجمالية ، لصلتها بالتجربة الشعرية عند سعد الله ، يقول في مقدمته الديون " الزمن الأخضر " موضوع دراستي : " يعبر هذا الشعر عن زمنيين أخضرين : عهد شبابي وعهد الثورة التي هي شباب الجزائر وهكذا في هذا الشعر عاطفتان شابتان مشبوبتان لاتكادان تنفصلان ،

[1] ادونيس مقدمة للشعر العربي ،دار البعث ،دمشق ،سوريا ،د ،ط ،تشرين 2004 ،ص 100.

[2]– خفاجي محمد عبد المنعم ،النقد العربي الحديث و مذاهبه ،مكتبة الكليات الأزهرية.القاهرة ،مصر ،د ،ط ،1975،ص (170.171)

العاطفة الذاتية والعاطفية والوطنية "[1] وقد أدرجت العاطفة الذاتية ضمن التجربة الجمالية كما سأوضح ذلك لاحقا .

أ-التجربة الوطنية : إن المدلول الجديد للكلمة وطن أصبح مقترنا بالكيان الجغرافي القومي السياسي الذي تولد فيه أمة ، وتتخذه مستقرا دائما لها ، وتربط أبناءها تقاليد وعادات ومصالح مشتركة .....

والوطنية : هي حب الوطن و الشعور نحوه بالارتباط الروحي ، " وهي قرعة اجتماعية تربط الفرد بالجماعة ، وتجعله يحبها ويفتخر بها ، ويعمل من أجلها ، ويضحي في سبيلها "[2]

فحب الوطن والشعور نجده بالارتباط الروحي تفرض على الشاعر أن يعبر عن آلام وآمال أمنة وإلا فليس " بشاعر من لا يستطيع أن يري في مجتمعه أو عالمه إلا المظاهر الخارجية ولا يشغله منها إلا البريق الزائل ،ومثله من يبصر الحقيقة ولكنه لا يفصح عنها بل ويجمد الزيف لتحقيق مغنم ، أو يركب موجة الإبهار ليخطف إليها الأبصار ، وإنما الشاعر هو الذي يدرك الحقيقة ويجاهر بها لغة فنية آسرة "[3]

يقول سعد الله : [4]

والشعب يسبح في الدموع والبؤس يحتطب الجمـــــوع
والمبدأ الاسمي صريع بين المخالب والنجيـــــــــع
والثائرون على الطغاة يناضلون والخائنون يقهقهون ويسحرون

---

[1]– سعد الله أبو القاسم ،الزمن الأخضر (المقدمة) ،ص 7.

[2]– عفيفي محمد الصادق ،النقد التطبيقي الموازنات ،ص68

[3]– حسن فتح الباب ،رؤية جديدة لشعرنا القديم ،دار الحداثة ،بيروت ،ط1،1984 ،ص262

[4]– سعد الله ،الزمن الأخضر ،قصيدة (مواكب النسور) ،ص123

فالشاعر عبر عن معاناة شعبه جراء جرائم المستعمر الفرنسي ضد الشعب الأعزل بعد ثورة 1954 .ومما لا شك فيه أن التجربة الشعرية في مجال الوطنية ، هي طهارة النفس ، والشعر الوطني الصادق لا تنكر قيمته ، في إصلاح الشعوب ، وذلك بما يغرسه في نفوسهم من العواطف السامية والأخلاق النبيلة ، إذا يهبب . بالشعوب أن تتمسك بالحرية والكرامة ويستحثها على النفور من الذل والعبودية ، ويحبب إليها الثور على الاستعمار ، وفي هذا المضمون

يقول سعد الله :

سوف تدري راهبات وأد عبقر .
كيف عانقت شعاع المجد الأحمر .
وسكبت الخمر بين العالميـــــن .
هم حبا وانطلاق ويقيـــــن .
ومسحت أعين الفجر الوصية .
وشدوت لنسور الوطنيـــــة ....
إن هذا هو دينـــــــي .
فاتبعوني أو دعونـــي .
في ممررتي .....
فقد اخترت طريقـــــي .
يارفيـقـــــــــي . [1]

والوطن عند سعد الله قد اقترن بالاستعمار الغاشم ، فما كان منها إلا مواجهة كل من يسخر من هذا الوطن عن طريق الثورة وعليه فالثورة اقترنت بالوطن لأنه كان واثقا من عدالة قضيته ، متحديا فرنسا وقراصنتها فراح يشق طريقه ، طريق كل مخلص لوطنه وأمة ثائرا داعيا لتحطيم القيود : حطموا القيد وغنوا للحياة .

[1]– قصيدة (طريقي) ،الزمن الأخضر ،ص144

افتحوا نافذة الأفق الرحيبة
واعشقوا النور سماوات خصيبة
بين أني لم أجدهم في طريقي
يا رفيقـــــي [1]

فالشاعر قد اختار طريقة ، عن وعي ومسؤولية ، فمأساة وطنه وشعبه تجعله يرفض أن يسير في درب غير درب الثورة ، فيهتف للخونة والمتخاذلين الذين لا يهمهم مصير وطنهم المعذب ، وعندما عمت الثورة كافة ربوع الوطن ، أعلنت فرنسا التعبئة العامة ، لإخماد لهيب المعركة والقضاء على الثور والمتمردين

-الفلاقة –حسب مزاعمها ، لكن هيهات أن يقهر شعب يسقى أرضه بدمائه ولا يبالي ، فكلما استشهد بطل أنجبت الأرض الثكلى أبطلا أشاوس ، ويصف لنا سعد الله هذا التحدي :

من حولك الصراع الدمار
والنار تأكل الأحياء في (الدوار)
من حولك الدماء كالأنهار
تجري فتسقي الأرض ماء الثأر
لتنجب الأشاوس الأحرار[2]

ب-التجربـــــة الجماليـــــة :

تعددت نوافذ الجمال ، فهو في الخير والحق والمعرفة والحب ، وهو في السماء والكون والطبيعة ، وهو في الطفولة والمرأة ، والشيخوخة والذات المبدعة ، فهو كل شيء ، "وكأن

[1]– قصيدة (طريقي) ،الزمن الأخضر ،ص144
[2]– قصيدة (أوراس) ،الزمن الأخضر ،ص249

الله حين يبدع الجميل يرسل في دمه مع الذرة الإنسانية ذرة من مادة الكواكب هي سر عشقه وجاذبيته " [1] يقول سعد الله في هذا السياق :

رفيقي عند الشفق .

إذا وأنت ذرتا تراب .

ذرهما النسيم في السحر .

فنامتا على عناق .

وصلتا إلى القمر .

وضمتا الأعشاب والزهر .

وغنتا للحب والقمر .

وعاشتا طفلين يمرحان .....

أنا وأنت والشفق .

وأمسنا المدفون بالعراء .

وذكرياتنا العطاش في القفاز .

سنلتقي في ضمة انتصار .

غدا ..... ويسقط الجدار .

ويمرح الطفلان من جديد .

[1]– الرافعي محمد الصادق ،رسائل الأحزان ،دار الهلال ،مصر ،د ،ط ،1924 ،ص129

لا شك أن وراء التجربة الشعرية محاولة لفظ حدود الأشياء ، وتخطي الأساليب المنطقية التي يهادن بها العقل مظاهر الوجود ، ويرضخ لما يتضح وينجلي منها ، ولئن كانت تلك التجربة تصدر – غالبا – عن باعث ذاتي (شخصي) ،فإن وراء ذلك الباعث الظاهر جذور خفية ، ترتبط بمواقف الإنسان من الوجود ،ومن كل ما يحيط به ، دون أن تهدئ من روعه وتوفي به إلى يقين نهائي يطمئن ويركن إليه .

وذلك في معظمه ، وبين ردة النفس على ذاتها ، أو بالأخرى وبين ردتها على العقل وسخطها على حدوده ومنطقة المحدود الذي يغرر به الوضوح وثورتها على حتمية العالم الخارجي وأقداره ونواميسه ولغزه الثابت الرتيب ، ساعية إلى التغيير ورفض الرتابة

" فالشاعر ينعم ، حينا ، بتقصي الأشياء ليستبطن أسرارها لكنه يظل يشعر بالرغم من قدح الذهن والتقصي ، أن ما أدركه يختلف تماما عن تلك السورة الغامضة التي تعتري نفسه أمام حقائق الوجود ومظاهره "[1] وهكذا فإن التجربة الشعرية العميقة ، تصدر عن ذلك . التوحد الحي بين ما تعانيه النفس في الداخل وما تبصره في الخارج ،إنه نوع من فيض النفس على الوجود وإخضاع له لقدر الحياة والموت والبعث وذلك الشعور الحاد بمصير الزوال والعبث ، إلا أن تجارب الشاعر الواحد قد تعدد و " تتباين مواقفه دون أن يكون قد مر بمراحل من التطور النفسي يمكن رصدها وبيان أثرها في تلك التجارب و المواقف ، لأنه – وهو يصدر عن إدراك وجداني – يتقلب بين لحظات نفسية يبلغ اختلافها أحيانا حد التناقض "[2] وهكذا ، فإن وراء التجربة الشعرية محاولة لزعزعة العالم المادي ، وخلقه خلقا نفسيا يزيل ثبات العقل وعجزه عن الرؤيا الجديدة التي تخرج الإنسان من دوامة الملل في الوجود . وإن كان ما يقدمه الشاعر من أعمال فنية (قصائد) ، " قد تعلو درجته أو تقل وفقا لتضافر مجموعة من العناصر بعضها خاص بذات الشاعر ، وقدراته الفنية ، والبعض الأخر خاص بخصوبة التجربة والمؤثرات المحيطة به "[3] وعليه فالشاعر الناجح

---

[1] – الحاوي إيليا ،نماذج في النقد الأدبي وتحليل النصوص ،ص29

[2] - القط عبد القادر ،الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ،ص271

[3] – رمضان الصباغ ،في نقد الشعر العربي المعاصر ،ص98

هو الذي " يدع التجربة تكون شكلها بذاتها ، وأن يولد التعبير عن طبيعة التجربة ليضمن لشعره الوحدة العضوية " [1] .

بواعـــث التجربـــة الشعريـــــة :

للتجربة الشعرية العديد من البواعث نذكر أهمها :

1- معايشة معاناة المجتمع وآلامه .

2- البعد عن الأوطان والحنين إليه .

3- معايشة التجربة العاطفية بكل أبعادها و الإنكواء بنارها.

4- التعبير عن تجارب الآخرين (النزعة الإنسانية) .

5- التعبير عن الحقيقة السامية وبيان مقدرة الشاعر على معايشة الحدث المنتج للقصيدة

وقد توفرت بواعث التجربة الشعرية – السالفة الذكر – عند سعد الله ،

فالشاعر عاش ما عاناه المجتمع الجزائري إبان الحقبة الاستعمارية

حيث يقول " [2]

شعب الجزائر في انتفاضته وجولته الغضوب
شعب تدافع للحياة مدى الروابي والدروب
هانت عليه حياته بين المذلة وللغرب
فاختار للثأر الخصيب أعالي الجبل النضوب

بالإضافة إلى معاناته مع الغربة وحنينه إلى الوطن التي أوقرت في نفسية بواعث التجربة ، يقول سعد الله في قصيدة (ليل وشوق) " [3]

ياليل تمهل

---

[1] **محمد أمين ،العالم و آخرون ،في قضايا الشعر العربي المعاصر ،المنظمة العربية للتربية والثقافة و العلوم ،تونس ،دك ،1988 ،ص195 .**

[2] **– قصيدة (شعب الله)،الزمن الأخضر ،ص 313**

[3] **– سعد الله ،الزمن الأخضر ،ص 303**

وأشدد رشدك في الأفق .

واغرز ظفرك في الصغر

لا تهرب ، لا تخجل

سأغنى لنجومك

سأناجي قمرك

سأمزق أسراري

عن ناري

فسعد الله يخاطب الليل في غربته مغنيا لنجومه ، مناجيا لقمره ويحاكيه عن أسراره عن أشواقه ، عن معاناته لبعده عن الأحبة والأهل والوطن . كذلك تجربة الحب التي أنكوى بنارها ، حيث يقول في قصيدة (جميلة والربيع)" [1] .

جميلة حبي ومنبع فني بزهرك أنت المنى الغالية

وأنت ظلالي ومعزف للحني وأنت لهاة الصبا الشادية

وهذا الوجود منى وابتسام وبوح ونجوى ولحن ودن

وهذي السعادة تحسوا لمدام وتحنو على أفقنا والوكن

كما عايش الشاعر معاناة الآخرين بالرغم من بعده عنهم لكن مشاعره وأحاسيسه معهم أينما حل ، يقول في قصيدته (الدم والسعلة) " [2]

سوف أمضي

ومعي شعبي وعرضي

ساحقا كل تحد

وأنا أمضي حقدي

ليس في حقلي دخيل

---

[1]– سعد الله ،الزمن الأخضر ،ص (138 – 139)

[2]– المصدر نفسه ،ص 300

لم يلد شعبي ذليل

وردنا والطائر الخفاق .....

والنهر الظليل

ولياليا وأيام الضباب

أقسمت بالوطن الظمآن

للصبح العظيم

صبحنا القادم في ركب النجوم .....

كذلك من مهام الشعراء إجلاء الحقيقة لشعوبهم ، فهم كالشموع ينيرون الدروب لغيرهم بينما يحترقون من الداخل ، فكم من شاعر أعدم وسجن ونفي ووضع تحت الإقامة الجبرية بسبب آراءه ومواقفه ، يقول سعد الله في قصيدته (النصر للشعب) "[1]عندما زعمت فرنسا أن جيش التحرير يمثل الشعب الجزائري .

الرأي رأي القادة الأحرار فهم الثقاة وهم حماة الوطن

لهم القلوب مواطنا ولهم يد محفوظة في موطن الأسرار

فإذا هم نادوا أجابت أمة مرصوصة في موكب جبار

لا تنثني عن حقها وكفاحها مهما استعان الظلم بالأنصار

والنصر للأحرار للشعب الذي يبني الحياة على الكفاح الناري.

لا شك أن للواقع المعاش تأثيرا على صدق التجربة أو كذبه ، فكلما كان المؤثر قويا ومؤثرا في نفسية الأديب ، وانفعل به وتفاعل معه كانت التجربة عميقة وأصيلة ، ويعرف ذلك بالدراسة الموضعية للعمل الأدبي ، من حيث الأسلوب والألفاظ والصيغ والأفكار والموسيقى والصور وما إلى ذلك .وتجربة سعد الله تثبت عمقها أصالتها من خلال

[1]– سعد الله ،الزمن الخضر ،ص 199

المواضيع التي عالجها في ديوانه الزمن الأخضر والتي سيأتي الحديث عنها من خلال موضوع " اللغة " وذلك في الفصل اللاحق .

خصائص التجربة الشعرية :

إن تجربة سعد الله الشعرية في هذا الديوان " الزمن الأخضر " تعد متميزة على صعيد الديوان الشعري الجزائري الحديث ، فهما تبتغي الاكتمال ، خاصة وأن سعد الله في هذا الديوان أخرج الشعر الجزائري من نمطيته إلي حقل الخالق والابتكار ، وعانق رياح الحداثة الشعرية بامتياز ، لأن لغته الشعرية كانت تعبيريه في بنائها انزياحية في تركيبها و في أسلوبها ووسائل إبلاغها ، لذلك لمسنا صدق نصوصه من خلال تجليات لغتها وانعكاسها على قارئها عبر التماثل الشخصي ويبقي ديوان سعد الله طافحة شعرية تفرض نفسها لكونها تصغي إلى أنآنا المعبرة عن الطبقات الكادحة والمجسدة لروحنا ، وما هذه المقارنة المتواضعة سوى محاولة لإثارة بعض الأسئلة الملحة في هذا الديوان ، وللشعر أن يتجلي في حضور فظاءاته .

وبتأملنا للمضامين الشعرية الواردة في الديوان نلحظ غلبة الموضوعات المترعة بالحزن ، والتي تنبع من صميم التجربة القاسية التي يعيشها الشاعر بعيدا عن الوطن والأهل في ديار الغربة ، في غربة الليالي السود وفي احتشاد الذاكرة بصور الحرب والدمار مع بصيص لاستشراف النصر الذي يلوح من بعيد ، وعنف اللحظات ، حيث يطفح الديوان الشعري بعدة مضامين نجملها

فيما يلي :

- المأزق السيكولوجي الذي تعيشه الذات
- سيرة المنافي المادية والمعنوية .
- الحالة المأسوية للأمة العربية بما فيها الجزائر وفلسطين .
- صور اغتيال الوطن البعيد القريب .

- صورة صلب الهوية وإعدام الفكر والحضارة وطنينا وقوميا وإنسانيا .

ولعل التجربة هنا تسلط الضوء الكاشف على نفسية الشاعر، لكونها تنطلق من الذات لموضوع وجوهر للتعزي جراحها وتنبش تفاصيل جراحها ، وكنوز من التعويض عن الخراب المادي والمعنوي الذي يرتادها في أقاصي الغربة واليتم ، وكنوز من الامتلاء النفسي .

يقول سعد الله في قصيدة (نجمة الغروب) " [1]

علام تحزنين ؟

والحب والحنين

من طبعنا نحن الذين نشتهي

لأننا من طيب

لأننا لا نملك الشعاع

نتوق للضياء .....نعبده .

لكننا لا ندركه

لأننا تراب

نعيش نهبا للقضاء والقدر

تهزنا الأشواق والشراع

لساحة القمر

أواه بالحزينة الشعاع

ما بعد السماء

وما أمر خيبة الأشواق

[1]– سعد الله ،الزمن الخضر ،ص 359.

لا تعرفين الأشواق

والحزن يا ذابلة العينين ....مرهق رهيب

لأنه خلاصنا الوحيد

!من خيبة الأشواق

لكن نداء الأرض ، نداء الأمة المقهورة من الداخل تنشب مواويلها العطشى وأغانيها الحزينة من جراء الخرب الذي يلتهم الوطن ويمزق أحشاءه ، يقول سعد الله في قصيدة (الدم والشعلة) : [1]

يا أكواخي المذبوحة

ثأرك في القمة أحمر

يحكيه الصخر عن الصخر

ويسجله الحبر علي الحبر

في كل تراب ثأر

في كلّ زناد نارٌ.

لن يستسلم عمّلاق

عاف الظلمة و القيد

يحويه بصدرك أفاق

يرضاها مجدا أو لحدا

ولا يقف الشاعر عند حدود اغترابه الذاتي ، ففي قصائده (عمالقة المروحة،النصر،الشعب) يستقرى ظاهرية الحياة حيث تخيل مفردات القصائد إلى مدلولات ظاهرة ، كما تمثل حادثة الجوهري الشخصي وإرهاصات الأنا اتجاه العالم والإنسان والتاريخ الجمعي والفعل اليومي

[1]– سعد الله ،الزمن الخضر ،ص 287

جرائرنا القديمة غاب ذلّ

وهي اليوم منعتق الرّقاب

رأت في الثّائرين بناة عزّ

على الدّم المقدّس والغلاّب

فأولتهم أياد سابعات

وضمّتهم على الصدر المهاب [1]

تكاد قصائد ديوان الشاعر تشكل عالما حياتنا قائما بذاته ، بمجمل علاقات كائناته المتجانسة والمتنافرة التي يحيل إلى قانون الحياة في وحدات الدلالة ومنتجاتها ومستويات التوافق اللساني البلاغي والمعرفي إلى جانب تعالي الزمان والمكان والكيانات اللغوية المغايرة التي أرست وأفضت إلى شعرية هادئة يشير لها بقوة عنوان الديوان " الزمن الأخضر " .

إن التجربة الإنسانية التي يستعرضها الديوان الشعري يحفل بصدق لأنها أولا تنهل من معجم الذات المنكسرة الحبلى بالهزائم ومعاني الانهيار ،

وثانيا لكونه صدى لمعاناة داخلية يشعر لهيبها في الأعماق ، وتنفجر براكينها بالأنين والصراخ والبكاء بحثا عن تعويض نفسي يحرض هذه الذات علي مقاومة لعنة الغربة السحيقة ، ولعل الكتابة جسر من جسور التعويض .

الذي يقلل من حجم الوحشية التي يبثها لهب الفقد والنية والغربة ، أو أنها منفذ هلامي،من خلاله ، تعير الذات المشروحة لململة أجزائها المشققة عبر غربة اختيارية أو قشرية .

وينطلق سعد الله على المستوى التطبيقي بتقديم نمذجة تصنيفية لتجربته الشعرية من خلال ديوانه حاصرين إياها في :

[1] سعد الله ، الزمن الأخضر ،ص 207 .

1- التجربة الواقعية ذات الأبعاد الاجتماعية والسياسية .

2- التجربة الرومانسية التي يتداخل فيها الوجدان الفردي مع الوجدان الجماعي وتجارب

صوفية ووجودية . وقد استخلصنا هذا التقسيم من خلال قراءة واعية ومبصرة لديوان الشعر ، ونضيف كذلك تقسيما للتجربة الشعرية المرتبطة بحركة الشعرية المرتبطة بالشكل إلي ثلاثة أنماط هي :

1- التجربة الشعرية العامة المرتبطة .

2- التجربة الشعرية الفردية الخاصة بالشاعر،أو بأحد الشعراء في مرحلة تاريخية معينة

3- التجربة الشعرية النصية المرتبطة بنص شعري معين ، أو بمجموعة من النصوص

وفي التجربة الشعرية ليس الموضوع هو المهم – دائما – وإنما المهم وقعة في نفس الشاعر وتشبع وجدانه به ، وليكن حبا أو طبيعة أو سياسية أو اجتماعيا أو شيئا يوميا ،أو آلة صناعية فذلك كله لا يهم ، إنما المهم ما يتجلى من وراء ذلك ومدى وقعه في نفوس المتلقين " فالشعر لا يسعى إلى تجميع الحس السليم المشترك بين جميع البشر ، بل إلي التوغل في أسرار العالم المعجز الفائق الطبيعة والفائق الواقعية " [1] ورغم أن سعد الله تطرق في تجربته الشعرية الحديثة (قصيدة التفعيلة)إلى بعض المواضيع التي تبدوا سطحية – لدى البعض – إلا أنها تعبر عن عبثية الحياة بالإنسان ، حيث نجده يقول في قصيدة (ورق) " [2] .

أعيش في الورق

أطالع الصباح والمساء في الورق

وأكتب الأيام والليالي .....

على الورق

أصطاد فكرة .....خيال

من ورق

---

[1]–حمود محمد ،الحداثة في الشعر العربي المعاصر بيانها و مظاهرها ،الشركة العالمية للكتاب (ش ل ك) بيروت ،لبنان ،ط1،1996 ،ص57

[2]– سعد الله ،الزمن الخضر ،ص 329

وأحفظ الإسرار في الورق

تنهدات الحب والندم

أفراح النصر وللقاء

ونشوة النسيم والقمر

وغنوة الحياة للشباب

يمتصها .....يلفها الورق .

الفصل الثالث ـــــــــ اللغة الشعرية عند سعد الله

مدخـل :

تعتبر اللغة ظاهرة اجتماعية ووسيلة التخاطب والتفاهم ، وهي أداة التوصيل بين البشر لنقل أفكارهم ، وهي أداة الفنون الأدبية المختلفة وعلى رأسها الشعر الذي يتحقق بها كيانه وما الشعر إلا كلمات نظمت بطريقة خاصة ، وهذه الخصوصية هي التي تميزه عن النشر ولغة التخاطب اليومي .وترجع خصوصية الشعر واختلافه عن غيره من أساليب القول ، إلى تلك العلاقات والارتباطات الجديدة بين المفردات ، وما تخلفه هذه العلاقات من صور وأخيلة "ومهمة الأديب الناجح أن يعمل على تحطيم الارتباطات العامة للألفاظ ، تلك الارتباطات التي يخلقها المجتمع ، وأن يخرج عن السياق المألوف إلى السياق لغوي مليء بالا بحارات الجديدة " [1] .ونرى أن الشاعر يستخدم مفردات اللغة وألفاظها ، إلا أنه يصوغ منها ما يختلف عن لغة الحياة اليومية ، مع أن الشعر اليوم لاسيما قصيدة الشاعر الحر .والكلمة تعتبر الريشة التي يرسم بها الشاعر صورته الفنية وينقل بها تجربته الشعرية ، وتظل اللفظة الموحية ينبعث منها وهجها المعبر عن مكونات الشاعر ودخائله ، فالألفاظ ليست وعاء لنقل الأفكار فحسب ، ولكنها تحمل في ذاتها معنى عقليا ، يحتشد فيه . قدر كبير من المشاعر والأحاسيس والأصداء والظلال بل تكون محملة بتراث متراكم من تجارب الأمة وأحاسيسها المختزنة وأصداء ذكرياتها وظلال تجاربها فكلمة " الأرض " التي يتعامل معها الشاعر الجزائري أثناء الثورة ترد محملة بالدلالات والإيحاءات والمشاعر والصور والمعاني الخاصة بنا نحن الجزائريين .

[1] – عشماوي محمد زكي :قضايا النقد الأدبي و البلاغة ،دار الكتاب العربي ،الإسكندرية ،د ،ط ،د ،ت ،ص 19

اللغة الشعرية عند المحدثين والمعاصرين :

برزت فكرة اللغة الشعرية في أوربا في القرن الثامن عشر ، حين أكد النقاد أن لغة الشعر تختلف عن لغة التخاطب اليومي ، ويري معظم النقاد أن اللغة هي المركز الاهتمام

النقدي ، فاللغة هي التي تحدد شخصية الشعر من خلال الصور والأصوات التي يتبناها الشاعر، أي أن " الشعر هو الذي يخلق سياقه الخاص به للتحدث مع أي صوت ، وذلك عن طريق انتقاء ألفاظه من أي أسلوب لغوي ، فيستعمل اللفظ في القصيدة لتحديد الموافق أو بعض وجهات النظر أكثر من استعماله في اللغة اليومية أي أنها في اللغة الشعرية أكثر دقة وتحديدا " (1) . فالوعي باللغة الشعرية أصبح يشكل بؤرة الاهتمام عند النقاد الأدب المحدثين المعاصرين (*) من منطلق ذلك التلاحم العضوي القائم بين اللغة .والشعر ، مما يقتضي لغة تدعي لغة الشعر . ويرجع الفصل الأكبر في مقاربة اللغة الشعرية إلي ما حققته الدراسات الحديثة من تحولات عميقة انعكست على طرق فهمنا للنص الشعري وكيفية تولد بنياته اللغوية بداية بآراء دو سوسير في تمييزه بين اللغة والكلام والقول باعتباطية العلامة اللغوية ، والتركيز علي تزامنية اللغة ، وصولا إلى الشكلانيين الروس الذين قاموا بدراساتهم الوصفية للغة الشعرية مستبعدين البحث خارج النسيج اللغوي غير أن نقادنا وأدباؤنا العرب لم يكونوا بمنأى عن التطور اللغوي والأدبي التي مست الغرب فاستفادوا كثيرا من تلك الدراسات في تحديد ماهية الشعر ، ومادام الشعر حصيلة العلاقة القائمة بين اللغة والشاعر ، الذي ما إن يسقط انفعالاته علي اللغة ، حتى يصبح الشعر بمقتضاها لغة أصلية غايتها إرساء أسس كينونتنا وانطلاقا من ذلك من ذلك الاحتكاك وما تمخض عنه من تأثر ، نقوم بعرض أراء مختلفة لمقاربة اللغة الشعرية كاصطلاح نقدي لقد أدركت الحركة الرومانسية ، ومنها مدرسة الديوان * التطور الحاصل في الأدب وأن هناك أجيالا أدبية متباينة ، فقد قسم

مثل هذه المدرسة كل من :عباس محمود العقاد ،إبراهيم عبد القادر المازني و عبد الرحمان شكري ،ذلك لان العقاد و المازني لأصدرا كتابا *نقديا أطلقا عليه (الديوان) ،ورغم أن شكري لم يشترك معهما في هذا الكتاب ،إلا أنه يعد من المدرسة ،لان رأياهم النقدية تكاد تكون متقاربة

العقاد الأجيال الأدبية إلى أقسام ، معتمدا على وصف نمط اللغة الشعرية في تقسيمه . فالشعر حسب العقاد ليس تشكيلا لغويا مقصودا لذاته ، بل هو ترجمة لانفعال متوقد في أعماق الشاعر ، والوصول إلي أصدق تعبير عن ذلك الانفعال يتم بالاهتمام دون المبني، وبالجوهر دون الشكل .

فهو يرى أن اللفظ رمز مرتبط بأحاسيس الشاعر وانفعالاته ، لذلك دعا العقاد إلى وجوب بأن يكون للشعر لغة تميز هذه اللغة بإيحاءاتها واكتنازها بدلالات متعددة أما اللغة الشعرية كاصطلاح فقد عرفها العقاد بقوله " إنما نريد باللغة الشاعرة أنها لغة بنيت على نسق الشعر في أصوله الفنية والموسيقية ، فهي في جملتها فن منظوم منسق الأوزان والأصوات ، لا تنفصل عن الشعر في كلام تألفت منه ولو لم يكن من كلام الشعراء "[1] وقد كان معيار الأديب الناجح عنده هو القادر على صياغة " جملة مستوية النسق ، أو بيت سائح الجرس ، فيسير ميسرة الأمثال وتستعذبه الأفواه لسهولة مجراه على اللسان وكان سبك الحروف ورصف الكلمات ومرونة اللفظ أصعب ما يعانيه أدباء ذلك العهد لندرة الأساليب ووعورة التعبير باللغة المقبولة " [2]

كما أكد العقاد على وحدة التجربة الشعرية لخلق نمط من اللغة الشعرية المتميزة على مستوى الأسلوب والصورة والإيقاع ، إذا تتفاوت أساليب الأدباء ، وتتفاوت صورهم وإيقاعاتهم باختلاف تجاربهم الشعرية وتباينها أما أدباء الرابطة القلمية [3] فقد وقفوا موقفا متمرد على التراث ومحاكاة القديم ، داعين إلى إبداع جديد ، وقد كانت ثقافة أعضائها على قدر كبير من الاتساع ،خاصة الغربية منها ،أما ثقافتهم العربية فقد كانت محدودة لأسباب عدّة على رأسها بعدهم المكاني عن مصادر التراث العربي[4] وقد أكد نعيمة على وجوب ربط تطور

---

[1]– عباس محمود العقاد ،اللغة الشاعرة مزايا الفن و التعبير في اللغة العربية ،مكتبة الانجلو مصرية ،د ،ط ،1960 ،ص 8

[2]–عباس محمود العقاد و إبراهيم عبد القادر المازني :الديوان ،دار الشعب ،القاهرة ،(د،ط)، (د،ت) ، ص 12

[3]– مثل هذه المدرسة كل من :جبران خليل جبران ،ميخائيل نعيمة ،إيليا أبو ماضي

[4]– مناعي البشير: اللغة الشعرية عند الشنفري دراسة وصفية تحليلية ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ،إشراف يوسف عروج ،ص 36

اللغة بتطور المجتمع بدلا من إقبارها مثل ما يفعل "ضفادع الأدب"- على حد تعبير نعيمة – [1]وربما أن اللغة لم تكن هي التي أوجدت الإنسان لذلك فهي تقوم بدور حيوي في التعبير فاعتبرها نعيمة أداة للتواصل ،ومادة للكتابة و الإبداع الأدبي يجب العمل على تهذيبها و تنسيقها لإعطائها ميزة الدقة و الرقة ،لأنها ليست سوى مستودع رموز نرمز به إلى أفكارنا وعواطفنا ،ومن ثمة فلا قيمة لها في نفسها ،بل إن "قيمتها في ما ترمز إليه من فكر ومن عاطفة .....لأن الفكر كائن قبل اللغة ،و العاطفة كائنة قبل الفكر ،فهما الجوهر و هي القشور.....و بما أن البشرية مضطرة إلى استعمال الرموز للإفصاح عن عوامل الحياة فيها .....فإن الرمز في أحسن أحواله وأدقها ليس سوى خيال ممسوخ لها يرمز إليه[2] وقد أدت دعوة التجديد هذه التي دعا إليها نعيمة و باقي المهجريين إلى محاولتهم كسر النظام الإعرابي للغة و الكتابة بالعامية أحيانا ،لكن أغلب شعرهم كان فصيحا رغم أنّ معظمهم كان يعاني من ضعف محصولها اللغوي ،فتحول تقصيرهم هذا إلى دعوة للتجديد ،وإلى قبول استعمالات لغوية فيها لحن و خروج عن النظام الفصيح وهذا التساهل في اللغة ساعدهم على نزوعهم الرومانسي الذي يرفض القيد أيًّا كان مصدره و يميل إلى الحرية أيًّا كان منحاها ،فآثروا اللغة اللّينة الطيّعة التي تنقاد لصاحبها و لا تتمنّع ،ولو كان ذلك على حساب اللغة الفصيحة فتخلصت لغتهم من نبرتها الخطابية ،وصقلت عباراتهم لتعبّر بصدق عن أعماق ذواتهم[3].

أمّا شعراء الحداثة المعاصرين – عندنا – فقد اقتفوا أثر نظرائهم الغربيين في نظرتهم إلى اللغة الشعرية ،ثمّ انطلقوا بعد ذلك في نشر هذا المفهوم على مستوي التنظير و الممارسة الفعلية كما هي العادة دائما .فقد أدرك هؤلاء أن التطور الحاصل في الحياة البشرية يتطلب حتمًا تجديدًا في اللغة ، فاللغة القديمة لا يمكن أن تعبر عن تجربة جديدة

---

[1]– ميخائيل نعيمة،المجموعة الكاملة ،الغربال ،دار القيم للملايين ،م3 ،بيروت،د ،ط ،1979 ،ص 406 .

[2]– المرجع نفسه ،ص414 ،415 .

[3]– مناعي البشير ،اللغة الشعرية عند الشنفري دراسة وصفية تحليلية ،مرجع سابق ص 38 .

،لأن اللغة عندهم "كالتربة....مهما تبلغ بها الخصوبة فهي عرضة للتشقق ،وخصوبتها مهددّة دائما باستغلال يمتص حيويتها ،فهي تحتاج إلى إنعاش متواصل حتى لا تصبح مجدية عقيمة "[1]ويؤكد نقاد الحداثة على أنّ لغة الشعر هي لغة الإشارة ،في حين أن اللغة العادية هي لغة التواصل و الإيضاح ،ويمثل هذا التوجه ثورة مستمرة يمارسها الشعر على اللغة ،إذ " لا بد لكلمة في الشعر أن تعلو على ذاتها ،أن تزخر بالكثير مما تعد به ،وأن تشير إلى أكثر مما تقول "[2]لذلك كانت لغة الشعر عند هؤلاء النقاد هي لغة الخلق لا لغة التعبير ،إذ يقول أدونيس: " لقد انتهى عهد الكلمة – الغاية ،وانتهى معه عهد تكون فيه القصيدة كيمياء لفظية ،أصبحت القصيدة كيمياء شعورية ،وأقصد بالشعور هنا حالة كيانيه يتوقد فيها الانفعال و الفكر ،القصيدة إذن ،تركيب جديد يتعرض فيه من زاوية القصيدة ،وبواسطة اللغة ،وضع الإنسان ،وهذا يعني أن لغة الشعر ليست لغة تعبيرية بقد ما هي لغة خلق "[3]فالتعبير الشعري جزء من الحالات النفسية و الشعورية ،و التعبير لغة اللغة كائن حي يتجدد ،وإذا كان الشعور الجديد يعبر عن نفسه تعبيرًا جديدًا ،فإن هذا يعني أن لغة متميزة خاصة ،و التعبير الشعري انفعال و حساسيته وتوتر و رؤيا ،لا نحو ولا قواعد ،ويعود جمال اللغة في الشعر إلى نظام المفردات وعلاقتها ،و هو نظام لا يتحكم فيه النحو ،بل الانفعال أو التجربة ،ومن هنا كانت لغة إيحاءات على النقيض من لغة العلم التي هي لغة تحديدات ،هكذا يؤمن الشاعر العربي الجديد أن على اللغة أن تساير تجربته بكل ما فيها من التناقض و الغنى و التوتر ،وهو في ذلك يفرغ الكلمة من شحنتها الموروثة التقليدية ،ويملؤها بشحنة جديدة تخرجها من إطارها العادي ودلالتها الشائعة الشعر الحر هو الذي يعبر عن قلق الإنسان وهمومه ،محاولا الكشف عن كنه الحياة وسبب أغوارها ،ولذلك فإن من خصائصه أن يعبر عن قلق الإنسان ،أبديا .والشاعر الجديد ،و الحالة هذه ،متفرد ،متميز في الخلق ،وفي مجال انهماكا ته الخاصة كشاعر ،وشعره مركز استقطاب لمشكلات كيانيه يعانيها في

[1]– محمد حمود ،الحداثة في الشعر العربي المعاصر بيانها و مظاهرها ،ص 167.

[2]– المرجع نفسه ،ص 170 .

[3]– أدونيس مقدمة للشعر العربي ، ص 152 ، 153 .

حضارته و أمته ،وفي نفسه هو بالذات.وقد اتسم الشعر في العصر الحديث بنوع من الغموض ،حذر بعض النقاد من مغبّة الإيغال فيه ،لأن ذلك مدعاة لقطع الصلة بين الشاعر و المتلقي ،وتلك هي الأزمة التي وقع فيها نقاد الحداثة في العموم فأصبح أدبهم نخبويا لا جماهيريا ،وما ذاك إلا نتيجة لهذا الخلل الصارخ في عملية التواصل بينهم و بين الجمهور.

إن الشاعر العربي في عصرنا الحديث يعاني مشكلة التواصل أكثر من غيره ،في مجتمع أكثره لا يعرف القراءة و الكتابة ،واقتناء الكتاب فيه لا يعتبر تقليدا ،وتزداد الصعوبة أكثر إذ تعّلق المر بشعر لا صلة له بالحياة ،مثل الذّي يقرضه شعراء الحداثة فاللغة الأدبية " بعيدة كل البعد على أن تكون دلالية حرفية فقط ،لأن لها جانبها التعبيري ،فهي تنقل لهجّة المتحدث أو الكاتب و انفعاله و موقفه ،كما أنها لا تقتصد على تقرير ما يقال أو التعبير عنه ،وإنما تريد أن تؤثر في موقف القارئ ،أن تقنعه وأن تثيره وأن تغيره في النهاية ،ولكن كانت الإشارة في اللغة العلمية ترشدنا إلى مدلولها دون أن تلفت نظرنا إلى ذاتها ،فإنها في اللغة الأدبية تلقي تشديدا عليها نفسها ،أي على الرمز الصوتي للكلمة كالوزن و السجع و التكرار"[1] ،وهذا ما سنحاول الوقوف عنده في اللغة الشعرية عند سعد الله من خلال استجلاء الظواهر اللغوية كظاهرة التكرار و الوقوف على دلالات المعجم الشعري عند سعد الله.

المعجم الشعري:

وسعد الله اعتمد في ديوانه لغة فصيحة ،مع ميله إلى لغة الحياة اليومية ولكن دون ابتذال أو إسفاف ،كما اعتمد في تكوينه الثقافي على التراث الأدبي عبر العصور الماضية و بالتالي ظل مشدودا إلى هذا التراث في نتاجه الشعري ،ونلمس ذلك جليًا في " الزمن الأخضر ". و يجدر بنا القول أننا إذا ما ألقينا نظرة أفقية على مجمل إنتاج سعد الله الشعري فإننا سنرى ،دونما صعوبة ،أن النقلات في قصائده ليست بالحادة ،ولكننا نلمس ذلك التحول الذي طرأ على خط تطوره بعد قصائده الأولى ،ولم يكن هذا التحول في الشكل أي الانتقال من

[1]– محمد قدور أحمد ،اللسانيات و آفاق الدرس اللغوي ،دار الفكر المعاصر ،لبنان ،ط1 ،2001 ،ص 150 ، 151 .

القصيدة العمودية إلى إلى القصيدة الحرة ،بل هو تحول في المضمون ،ونقله من التمركز حول الذات وهمومها ومشاغلها ،إلى التمركز حول الموضوع العام وقضيته الوطنية ." ولعل من شأن هذه الظاهرة أن تؤكد الحقيقة الرامية إلى أن كل تغيير في الأشكال الأدبية أنما يسبقه و يشرطه تغيير في الأفكار و التصورات أي تغيير في المضمون يحدد صورة الشكل ويسهم في استقلابها من كيف إلى آخر[1] وإن هذا التحول لا يعني انعدام الانتقالات و التحولات الصغيرة داخل المرحلة الواحدة ،بل كل قصيدة تمثل تحولا بالنسبة لسابقتها ،وهذا نمو طبيعي لما سبقه من إنتاج شعري ،فكل تحول أنتجه التراكم السابق له ،على أن القصيدة الجديدة تكشف " خلال الرحلة التي يقطعها معها القارئ الناقد عن قيم القصيدة و القارئ الذي يستنتج من الشعر شيئا لا تنشئه لغة هذا الشعر لا يقرأ الشعر ،و إنما يقرأ أفكاره الخاصة[2].

وعليه " فإن الذي يجب أن تتمسك به هو :أن الطريقة الإحصائية تضع يدنا على بعض الترددات التي هي ذات مغزى ،فلا أحد ينكر دورها في رصد المحأور التي يدور عليها الديوان أو القصيدة ،ولا أحد يجادل في أن تلك الترددات تضمن انسجام النص مع نفسه ومع النصوص التي ينتمي إلى جنسها[3].وسنحأول في هذا البحث القراءة الفعلية لشعر سعد الله والوقوف على الجوانب الفنية فيه .وبدايات سعد الله بالشعر العمودي كانت لها ظروفها الموضوعية ودوافعها الروحية ، وبإمكاننا أن نضع إصبعنا على المفردات الأكثر توترا في بداياته والتي تشكل قاموسه الشعري ، ويمكن ترتيبها ضمن فصائل متقاربة الجزئيات وذات دلالة هي :

---

[1]– قادري يوسف عمر :التجربة الشعرية عند فدوى طوقان بين الشكل و المضمون ،دار هومة ،د ،ط ،1999 ص 31.

[2]– الربيعي محمد :قراءة الشعر ،ص161 .

[3]– مفتاح محمد : تحليل الخطاب الشعري – استراتجية التناص ،المركز الثقافي العربي ،المغرب ،ط3 ،1992 ،ص 60 .

1-دموع ، بكاء ، أحزان ، جفوة ، الأسى ، البؤس ، جريح ، الهجران ، آهات السعير ، اللهيب ، البركان ، النار ، الرماد ، الجحيم ، الجمر ، عذاب ، احتراق الكفاح ، النضال ، الثورة ، الرصاص .....

2-الحب ، الولهان ، الهوى ، يهيم ، غرم ، الشوق .....

3-الأرق ، الإرهاق ، التعب

4-سجون ، قيود ، الحقد ، ظلم ، بغض ، غل .....

5-حيران ، أوهام ، تائه ، ذهول ، غيوم ، ضباب ، قاتم .....

6-الخلود ، الأبد ، الحياة ، الأحلام ، الرؤى ، ابتسام ، نشوة ، لذة ، .....

7-موت ، الفناء ، الفراق ، العدم ، الظلام ، الانتقام ، اغتيال .....

هذه المجموعات اللغوية السابقة تعبر عن سبع حالات نفسية تطابقها وتشكل الارضية الشعرية وهي :

1-صور الحزن والكآبة والألم

2-صور الوحدة والوحشية والحنين إلى الأهل والأحباب أو البعد والفراق

3-صور الصراعات النفسية والشروخ والفجوات الداخلية العميقة

4-الإحساس بالاحتجاز والاحتباس تعرقل الحركة الإرادية الحرة

5-حسن النية والحيرة إزاء الاحتباس والاستبهام والصمت

6- صورة الغيمومة والخوف من الموت والتناهي أو استبهام الأشياء والضبابية

7-صور الأمل في غد واعد والانطلاق والتحرر

وهكذا نجد أن الرمز اللغوية السابقة هي الناسجة للجزئيات النفسية لديوانه الشعري " الزمن الأخضر " ويمكن اختزالها إلى أربع حالات هي :

1- المفردات الدالة على حالة العزلة والإحساس بالوحشة والحزن ، فالنفس المتواجدة تكون مجموعة محزونة .

2- الألفاظ المعبرة عن حالة الصراعات النفسية الباطنية التي تصور الخوف من الموت والظمأ والصراع والقلق

3- المفردات المعبرة عن حالة النية والحيرة وانطماس معالم الأشياء واستبهامها

4- الألفاظ الدالة عن صورة الحبيب النائي أو المفارق ، وهو جزء من حس العزلة والانكماش الداخلي ، أي الانطواء على الذات . هذا ما يمكن استقراؤه من معجم ديوانه الشعري ، ولعل ثقل الحياة ومفهوم الوجود له تأثيره على روحه ، فنرى هذا السيل من الألفاظ المعبرة عن القيود والأغلال المكبلة لشاعر ، وحاجته الشديدة إلى التخلص من التوتر القابض لنفسه والخروج من حالة الكآبة ، والتعافي من حالة الشعور بالوحدة والعزلة . إن قاموسه الشعري يحدد أزمة الشاعر ولعله يشكل سببا رئيسيا لشعوره بالوحدة ، وربما يعود ذلك إلى مرحلة الطفولة أو الشباب ومعاناته بمعاناة وطنه الجريح فظلت راسبة بأعماقه ، تطفو على السطح أحيانا وتختفي تارة أخرى ، يقول سعد الله في قصيدة (شك) "[1] .

أما أنا فالشك دوما قاتلي
الشك في رسالة بلا عنوان
وقادم بلا لسان
من عالم مغلق .....ظلام
أتيه منه في الضباب
أسير خطوتين خطوتيـن
أستقرئ الأشياء مرتين مرتين
هناك شوك يجرح الأقدام
يمزق الكفين

[1]- سعد الله ،الزمن الأخضر ،ص 325

أطارد الأشباح في الظلام

تصطادين الأشباح في الظلام

أرى النجوم تبتعد

أرى الصباح ميتا ، قتيل

فكل الألفاظ لديه تدل على الغموض والضبابية واللامحدود من ذلك (الأشباح ، الضباب ، بلا لسان ، قتيل ، الظلام ، الشك ، بلا عنوان .....) ولا يتوقف صراعه مع المجهول المبهم والغامض ، حيث نجده يقول في قصيدته (الهوة) " [1]

أعيش هوة بلا قرار

أغوص في أعماقها .....أنهار

يداي تبحثان عن طريق .....

لم تعرفا بدايته

وتتعبان .....تدميان

ويؤكد حالة التيه والضبابية التي يحياها سعد الله ، حيث نجده يعبر عنها في قصيدته (رحلة الحزن) [2]فيقول :

يا رفيقي

أنا أحيا في ضباب

لم يراودني مرح

لم أضحك نجمة عند المساء

منذ أسد لنا ستار

بين قلبينا .....وطار

من يدينا أمسينا

الكنز الذي ليس يباع .....

يا رفيقـــي.....

---

[1]– سعد الله :الزمن الأخضر ،ص 337 .

[2]– المصدر السابق ،ص 346

كل ما حولي صمت

ودوار وعاء

وقلوب من تراب .....

فهو يعلن في المقطع السابق بأنه لم يراوده مرح وفرح منذ ولادته كما أنه يحيا في ضبابية مبهمة وغامضة ، وما يدل على ذلك ضمير المتكلم (أنا) ، فقد سدل ستار بينه وبين السعادة ، وقد طار ، فجعله يحيا في حالة من الصمت الرهيب ودورا يلازمه على الدوام .كما يتبع الشاعر تصوير – المجهول – كما لو كان روحا غير منظورة (مبهمة) وقد تكرر – غير مرة – تعامله مع هذا المجهول ، فهو يغلب على كثير من نتاجه ، ولا شك أنه يؤشر إلى عملية الصراع الداخلي بين المقموع (المقهور) الخفي وبين الطاقة المكبوتة فيه والتي تعمل على رده إلى الأسفل كلما حاول الخروج من الأعماق ليصل على سطح الوجدان والشعور فيرى النور ، نور الحرية لقد تعايش بين إعلان التمرد والعمل على كبحه بالانسحاب إلى الطبيعة ليطفئ توتره ويعوضه ، ولو مؤقتا ، عن حيرته ومعاناته ، حيث يقول في قصيدته (الحزن)[1] .

وحيدتـــي

لن يسقط الخريف كل زهرة .....

من دربنا الطويـــل

لن تخنق الرياح كل نعمــة .....

سكرانة بحبنا الأصيل ،

هناك في بستان الحب ناي

ألحانه خضراء ما تزال

تسامر العشاق والقمر

[1]– سعد الله :الزمن الأخضر ،ص 335

وما يبعث على الطمأنينة أن هناك بصيص أمل يلوح من بعيد ، يشده خيط رفيع عبر عنه الشاعر في قصيدته التي تحمل عنوانا حزينا حيث نجد الألفاظ دالة على ذلك في قوله : (دربنا الطويل ، ألحانه خضراء ، بستان الحب ، زهرة ، الناي ، الألحان ...)

إن شعور التيه والحيرة والتردد وما صاحبه من ألفاظ (الحدود ، السجن ، القيود .....)

وما شابهها تمثل كنايات للحواجز التي تقف في الواقع الاجتماعي وتحول دون الانطلاق باتجاه غد واعد .

وإذا كنا قد تحدثنا عن الجانب السلبي للقلق الذي يصاحب الشاعر في أحيان كثيرة فإننا لا نستطيع أن نغض الطرف عن البعد الايجابي للقلق ، فهو من أهم محفزات الدفاع عن الوجود ، فهو الذي يشحن الذهن ويوظف الطاقة النفسية الكامنة والفاعلة ، ويؤدي إلى الخلق الإبداعي الذي يتغذى بالخيال ولا شك أن هذه الحالة النفسية من الخوف والصراع والقلق لا يمكن أن تكون قد انتابت الشاعر وألمت به بعيدا عن نكبة الجزائر وبمنأى عن هذه الكارثة الأليمة التي أحاطت بالشعب الجزائري عقب الاستعمار الفرنسي ، خاصة بعد احتفال فرنسا بمرور 100 سنة على احتلالها لوطننا سنة 1930 – مولد الشاعر– .

إن الشعر العظيم يحتاج إلى تجربة عميقة ، إلى تفاعل مع الحياة بعمق وأصالة وصدق لأنه هو الينبوع الوحيد الذي ينهل منه الشاعر ويثري تجربته ، والحقيقة أن أصوات الرصاص التي اندلعت في كل ربوع الجزائر بعد ثورة 1954 أيقظت الشاعر من سباته الذاتي وفجر شعرا عظيما يعايش حياته الجديدة ، تجسدت في شعر التفعيلة وخير ما يمثل ذلك قصائد (صرخة الجلاء ، مواكب النسور ، غضبة الكاهنة ، طريقي الثورة ، ليلة الرصاص ، فداء الجزائر ، الفدائي ، .....وبقية قصائده) فاللغة الشعرية أكثر من وسيلة للتبليغ والتوصل " إنها وسيلة استبطان اكتشاف ، ومن غاياتها الأولى أن تثير وتحرك ، وتهز الأعماق وتفتح أبواب الاستباق ، تهامسنا لكي نصير أكثر مما تهامسنا لكي نتلقن ،

إنها تيار تحولات يغمرنا بإيحائه وإيقاعه وبعده هذه اللغة فعل نواة حركة ، خزان طاقات والكلمة فيها أكثر من حروفها وموسيقاها لها وراء حروفها ومقاطعها دم خاص ، ودورة حياتيه خاصة ، فهي كيان يمكن جوهره في دمه لا في جلده وطبيعي أن تكون اللغة هنا إيجاد لا إيضاحا " [1].

الظاهــرة اللغويــة :

ونعني بها كيفية بناء الجمل وترتيب الكلمات واستخدام الألفاظ والدارجة والاقتباس من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة لفظا ومعنى وظاهرة التكرار و الغموض فمن المعلوم أن الجمل الاسمية تحتل الصدارة في الاستعمار اليومي حاليا ، بعد أن زحزحت الجمل الفعلية من هذا المكان الذي احتلته ردحا من الزمن في لغة التراث ، ذلك أن الجملة الفعلية هي الأساس في التعبير .

وأثناء دراستي لشعر سعد الله لمحت المراوحة في استخدام الجمل الفعلية والاسمية داخل القصيدة الواحدة ، أو في مجمل شعره ، ولا شك أن رصيد الشاعر من التراث العربي كبير، ولكنه استخدام الجملة بما يوائم تعبيره الشعري .

فقد وردت في قصيدته (يا عام) أحد عشر جملة فعلية ، وأحد عشر جملة اسمية من أصل اثنين وعشرين بيتا شعريا . وجاء في قصيدة (الشفة الولهى) تسعة جمل فعلية ومثلها جمل اسمية من أصل ثمانية عشر بيتا ، ومن خلال دراستي لشعره نرى محاولة التوازن الذي يبتغيه الشاعر ، ولكن الكفة ترجح دائما باتجاه الجملة الفعلية ، من خلال صلته بالتراث وأساليبه ، وقد يرجع استخدام الجملة الفعلية أو الاسمية إلى الحالة النفسية التي صدرت عنها المعاني والرغبة في التركيز على جانب معين تكون له الصدارة في إثارة الانتباه ، كما أن البناء الشعري الموسيقي يستدعي أحيانا البدء بالجمل الاسمية أو الجمل

[1]–أدونيس :مقدمة للشعر العربي ،ص 95

الفعلية ففي قصيدته (الفدائي) رواح الشاعر في استعمال الجملتين الفعلية والاسمية ، وأملي عليه بناء القصيدة الفني الجملة الفعلية أو الاسمية ، فحين يقول :

سلاحه في يديــه[1]
وروحه في النجوم
وقصائده في جبينه
وأرضه في فؤاده
يرى الحياة دقيقة
يهز فيها سلاحه
عدوه كل شيء
يرد ذل بلاده
يقاتل الخصم دوما
بروحه وسلاحه
فإن رأى الموت هانت
حياته ودماؤه

كان الابتداء بالاسم أو الفعل يرجع إلى أهميته عند الشاعر ، فقد تحدث عن السلاح وأهميته أثناء الحرب ، كما تحدث عن روح الشهيد التي تصعد إلى بارئها ، كما تحدث عن الأرض وما أدراك ما أهمية الأرض عند الشاعر رمز وحقيقة ، ولذا كان الخطاب المباشر الذي يحمل هم هذه الأرض وضرورة الصمود والبقاء والقتال من أجلها وهذا حق طبيعي ومشروع لشعب سلبت أرضه وانتهك عرضه . ولكن عند ما تكلم عن الجراح والمعاناة وممارسات العدو وجرائمه ، استخدام الجملة الفعلية (يرى، يهز، يريد، قاتل) وهذا التتابع في استخدام الأفعال يصور الحركة وترددها مع السرعة وما تقتضيه من اختصار الزمن .

[1]– سعد الله :الزمن الأخضر ،الفدائي ،ص 189

والملاحظ أن سعد الله لا يستعمل الكلمات الدّارجة في شعره ، بل على العكس من ذلك فجل ألفاظه وعباراته فصيحة كما في قصيدته (ثائرا وحب) [1]حيث نجد (خنق الصحاب ، أنضاء) وهذه الألفاظ قديمة لم تعد متداولة في زمننا ، كما نجد أيضا في قصيدته (الخطف) [2]ألفاظا فصيحة لم تعد مستعملة مثل (القشعم ، غيهب ، الأقداح) كذلك في قصيدة (طريقي) [3] حيث استعمل القيم و يوظفها توظيفا ينم عن معرفة و دراية بدلالات الألفاظ كما وجدت عبارة دارجة واحدة وظفها الشاعر في قصيدة (خطى السنين)[4] و هي (إلى أن نصفي الحساب) ، كذلك عثرت على كلمة فارسية (بختا)[5] و تعني بالعربية (الحظ)[6]. و لم يبتذل الشاعر في شعره إطلاقا حيث ظل محافظا على لغته الفصيحة ، كما اقتبس الشاعر من أسلوب القرآن الكريم و معانيه السامية ، و يتضح هذا التأثر في قصيدته (الطين)[7] عندما تحدث عن أصل الإنسان حيث يقول :

قلت للأرض التي فيها رفات أبويا
لم نحن قد خلقنا هكذا طينا دنيّا
يا أخي و الكون منّا في صداع و اصطخاب

و قد ورد في القرآن الكريم : "فاستفتهم أهم اشدّ خلقا أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب"[8] .كما يبدو الشاعر متناصا مع إيليا أبو ماضي في قصيدته (الطين) يقول :

---

[1] – سعد الله :الزمن الأخضر ،ص 195

[2]– المصدر نفسه ،ص 245 .

[3] –سعد الله : الزمن الأخضر ، ص 141

[4] –المصدر نفسه ، ص 159

[5]– قصيدة (يا عام) ، الزمن الأخضر ، ص 259

[6]– فؤاد افرام البستاني ، منجد الطلاب ، دار المشرق ، بيروت ، الطبعة الثانية و الثلاثون ، 1987 ، ص 209

[7] –الزمن الأخضر ، ص 209

[8]– سورة الصافات ، الآية 11 .

نسي الطين ساعة انّه طين[1] حقير فصـــال تيها و عربد
و كسي الخزّ جسمه فتباهى و حوي المال كيسه و تمرد
يا أخي لا تمل بوجهك عنّي ما أنا فحمة و لا أنت فرقد

و هكذا نلحظ التأثر بلغ درجة توظيف الألفاظ كما في لفظة (يا أخي) . أما فيما يخص المعاني حيث نجد سعد الله يتساءل (لم نحن قد خلقنا هكذا طينا دنيّا) كما فعل أبو ماضي يقوله :

لست ادري من أين جئت ، و لاما
كنت ، أو ما أكون ، يا صاح ، في غد

<u>ظاهرة التكرار :</u>

يعتبر التكرار من ظواهر الشعر الحديث ، و إن كانت جذوره تمتد إلى تراثنا القديم ، فهو لا يعد عيبا ، إذا كان المعني المقصود لا يتم إلا به .

ولا يخرج تقويم التكرار في الشعر الحديث عن هذا التصور ، فإذا لم يحقق هدفا معنويا أو موسيقيا لا غنى عنهما ، يصبح نافلة يمكن حذفها ، بل و يصبح مخلا ببناء القصيدة ذاتها . و يعتبر التكرار ظاهري موسيقية و معنوية في نفس الوقت ، فهو ظاهرة موسيقية عندما تتردد الكلمة أو البيت أو السطر أو المقطع على شكل اللازمة الموسيقية ، أو النغم الأساسي الذي يعاد ليخلق جوا نغميا ممتعا .و يصبح هذا التكرار على المستوى اللغوي ، ذا فائدة معنوية ، إذ أن إعادة ألفاظ معينة في بناء القصيدة ، يوحي بأهمية ما تكتسبه تلك الألفاظ من دلالات ، مما يجعل ذلك التكرار مفتاحا في بعض الأحيان لفهم القصيدة

و فك ألغازها .

<u>أ- التكرار البياني :</u> غرضه التأكيد على الكلمة المكررة أو العبارة ومن معاينة تصوير الحركة أو التردد .

[1] -الحاوي إيليا : إيليا أبو ماضي شاعر التساؤل و التفاؤل ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، 1981 ، ص 217

ب- تكرار التقسيم : و هو تكرار كلمة أو عبارة في ختام كل مقطوعة من القصيدة ، و الغرض الأساسي منه أن يقوم بعمل النقطة في ختام المقطوعة و يوجه القصيدة في اتجاه معيّن و منه نوع آخر يرد فيه التكرار في أول كل مقطوعة و هو يؤدي وظيفة افتتاح المقطوعة و يدق الجرس مؤذنا بتفرع جديد للمعنى الأساسي الذي تقوم عليه القصيدة .

جـ - التكرار اللاشعوري : و شرطه أن تجيء في سياق شعوري كثيف يبلغ أحيانا درجة المأساة ، ومن ثم فان العبارة المكررة تؤدي إلى رفع مستوى الشعور في القصيدة إلى درجة غير عادية . و باستناد الشاعر إلى هذا التكرار يستغني عن الإيضاح المباشر و إخبار القارئ بالألفاظ عن مدى كتابة الذروة العاطفية . و تتبع القيمة للعبارة المكررة في هذا الصنف من التكرار من كثافة الحالة النفسية التي تقترن بها . و بعد دراستنا لظاهرة التكرار يمكننا تناوله عند الشاعر من الناحية الشكلية إلى تكرار الكلمة المفرّدة أو الجملة أو المقطع ، ومن خلال هذا التقسيم نحاول فهم الدلالة للتكرار على المجريين المعنوي و الموسيقي .

1 – تكرار الكلمة : إنّ تكرار الكلمة يحقق إيقاعا يساير المعنى و يحسمه و يعبر عن معانيه ، بل ويمكن لتكرار الكلمة أن يعبر عن الزمن و امتداده أو قصره أو عن الحركة بأشكالها المختلفة أو يعبر عن القلّة أو الكثرة يقول سعد الله في قصيدة (كفاح إلى النهاية)[1]

سوف لا القي السّلاح
سوف لا تبرح كفّي بندقيّة
سوف لا يفرغ جيبي من رصاص
سوف لا يهدأ حقدي دون ثأري

فإن تكرار كلمة (سوف لا) إنّما هو تكرار إيقاعي إذ كرر الشاعر تفعيلة (فاعلن) و هذا التكرار الإيقاعي يتسق مع المعنى الذي يقصده الشاعر . فحين صور لنا تمسك الشاعر بحق الدفاع عن وطنه بكل السّبل التي تجعله حرا و هي لغة السلاح و البندقية و الرصاص ، لان يدافع عن ثأره.فتكرار هذه الكلمة دلالة لإصرار الشاعر على السير قدما نحو التحرر و الاستقلال .و في قصيدته (مواكب النسور)[2] : و الثّائرون ...

[1]- سعد الله : الزمن الأخضر ، ص 283
[2]- سعد الله ، الزمن الأخضر ، ص 124

الثائرون على الطــغاة يناضلون
سنحطّم الأصنام ... أصنام الجناه
و نمجد الأبطال ... أبطال الكفاح .

فإن تكرار كلمة (الثائرون) و كلمة (الأصنام) و كلمة (أبطال) إنّما هو تكرار إيقاعي . و الحقيقة التي لا مراء فيها أن الشاعر التزم التكرار في أكثر من قصيدة ، و جاء هذا التكرار لحركية النمو و الاستمرار بل و كأنه يطمئن نفسه على هذه الصيرورة ، حيث يقول :

أقسمت بالدّم و السّعير [1]
أقسمت بالروح المقدس و العبير
و بشعري الشّعث الضفير
أقسمت بالجبل الأشمّ
أقسمت بالحزن الشواهق و القباب ...
أقسمت ... إلا أنّني من تعرفون
من هي قاهرة الرجال
من هي معجزة الخيال
من هي " سيدة " الشمال
من هي كاهنة الجبال
... و ستعرفون
يا غاصبين
كيف الصّراع الصّاخب
كيف العذاب الواصب
كيف القتال الحاطب
كيف الوجود اللاهب

[1]– قصيدة (غضبة الكاهنة) ، الزمن الأخضر ، ص 133

يا جند ... يا ظلّ الحياة الرائعة

يا جند ... يا شبل الروابي المانعة ..

تحيا الخمائل و القنن

تحيا الشهامة و الوطن

و هكذا نلمس التكرار في كل مقطع من مقاطع القصيدة ، حيث بدأها بتكرار كلمة (أقسمت) خمس مرات ، ثم (من هي) أربع مرات ، ثم (كيف) أربع مرّات كذلك ، و أخيرا (يا جند) و (تحيا) مرتين لكل واحدة منهما . و جاء التكرار ليخدم إيقاع الجملة و يضفي عليها أبعادا نفسية مفعمة بالأمل و المستقبل المشرق للجزائر .

2 – تكرار الجملة أو العبارة :

استعمل الشعراء تكرار الجملة ، أو السطر الشعري في مواقع عديدة من القصيدة في بدايتها ووسطها و في نهايتها ، و يأتي تكرار السطر الشعري في بداية المقاطع كتبنيه ، متيحا للذهن توقعا ليس شكليا فحسب و إنما نفسيا أيضا . ففي قصيدته (عودة النسور) [1] استخدم الشاعر تكرار الجملة حيث يقول :

عاد النّسور

لأرضهم ، عاد النّسور ...

عاد النّسور

لشعبهم ، عاد النّسور

و كان استخدامه لهذا التكرار تعبيرا عن الحركة و الاستمرار ، إذ أن ترديد العبارة يعني استمرارها في بناء القصيدة و يوائم معاني الحركة و الدوام و راية ترتفع لانبعاث من الواقع المؤلم الذي يعيشه الشعب الجزائري ، من خلال التضحيات الجسام التي يبذلها المجاهدون في كل شبر من أرضهم حين يردد الشاعر :

[1]– سعد الله : الزمن الأخضر ، ص 201

عشناك في الحياة و المنى [1]
عشناك في ذوي الوشم الغرر
عشناك في ذوي الفتح الأغر
عشناك في السّلام الضاحك الزّهر ...
و في الحروب اللّامخات و الخطر
و أنت ، أيها الأنوف ، لا تقر !

فالتكرار اكسب القصيدة أهمية معنوية من خلال الرّفض و الصمود و مقاومة المستعمر عبر قوافل الشهداء التي تجسد حالة نفسية و مادية بان مصير هذا العدو لا يختلف عن مصير كل الطغاة الذين عرفتهم البشرية عبر تاريخها الطويل." إن تكرار الأصوات و الكلمات و التراكيب ، ليس ضروريا لتؤدي الجمل وظيفتها المعنوية و التداولية ، و لكنه شرط كمال أو محسن أو لعب لغوي و مع ذلك فانه يقوم بدور كبير في الخطاب الشعري أو ما يشبهه من أنواع الخطاب الأخرى الإقناعية " [2]

إن التغيير الذي تجلى في اللغة الشعرية عند سعد الله برز في أربع جوانب هي :

1 / التحول من التقرير إلى التصوير :

إن من ابرز الخصائص التي لفتت نظر الكاتب ، هذا التحول الملحوظ في لغة الشعراء الوجدانيين الذين اخذوا يبتعدون عن الديباجة ، فالشاعر أصبح يكتب بلغة تختلف عن لغة محمد أو أبي اليقظان إذ لم يعد الشاعر مقتصرا على توصيل الأفكار إلى المتلقين ، و لم تعد التجربة الشعرية تتعامل مع اللفظ تعاملا معجميا محضا و لكن أصبح الشاعر على وعي و دراية بالفروق الأساسية بين لغة الشعر و النشر ، و بين موقف الشاعر و الخطيب .

إن طبيعة الشاعر الوجداني كسعد الله المتمردة على القواعد و القوالب الكلاسيكية – في مرحلته الشعرية الثانية – جعلته يتمرد أيضا على القوالب اللغوية المتوارثة وينأى عن

[1]–قصيدة (أوراس) ، المصدر السابق ، ص 250 ، 251

[2]– مفتاح محمد ، تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص ، ص 39

الألفاظ و التراكيب ذات المعاني الجامدة ، فهو يبحث عن الألفاظ القادرة على إثراء تجربته الشعرية الثرية ، عن طريق الاتحاد الفني و الروحي ، و الذي يضفي على القصيدة جوا أشبه ما يكون بذلك الجو الذي تضفيه اللوحة الزيتية الرائعة .

2 / اللغة الهامسة :

إن الشاعر الوجداني بحكم ميله إلى التعبير عن عواطفه و انفعالاته لم يعد يهمه الالتزام بالتراكيب اللغوية المستمدة من التراث و لا الاقتصار على الألفاظ الرنانة الصاخبة التي تملأ الأشواق ، و المعبرة عن مشاعره و إحساسه الداخلي ، فهو ميال إلى الألفاظ المؤثرة بموسيقاها الهامسة ، هذه الكلمات تمتلك طاقة ذاتية في إشاعة جو نفسي ملائم حولها ، حيث تنساب في نغم هادئ بعيد عن القعقعة و الصخب .و هذه الظاهرة قد تجلت بوضوح في الشعر الجزائري الوجداني و شعر الثورة بالرغم من حرارة الأحداث و ضجيج الثورة " لقد استطاع بعض الشعراء الجزائريين من أمثال ألسائحي ، و زكريا و شريط ، و سعد الله و بآوية ، أن يدركوا ما في الهمس من سحر و استطاعوا في الوقت نفسه أن يعبروا عن مواقف ثورية و هم يستخدمون هذه اللغة " [1] فإن الهمس في الشعر ليس معناه الضعف ، فالشاعر القوي هو الذي يهمس فنحس صوته خارجا من أعماق نفسه في نغمات حارة بخلاف الخطابة التي تغلب على الشعر التقليدي .

والملاحظ في ديوان سعد الله يجد فيه مجموعة كبيرة من القصائد التي تتحدث عن الثورة فنجدها تهمس في آذاننا بكلمات هادئة تعبر عن إحساس حزين ينبع من أعماق الشاعر فيترك فينا أثرا نعيش معه أجواء القصيدة بجميع أحداثها و تتجاوب معها ، و إذا أردنا التمثيل لهذه الظاهرة فإننا نخلص إلى أن قصائده الثورية جلها متسمة بالهمس و الحزن ، ففي قصيدة (الليل و الجراح) و التي يعبر فيها عن إحساسه الحزين تجاه الجزائر المكبلة و الدامية فيهمس في آذاننا مخاطبا حبيبته فيقول [2]:

الليل يا وحيدتي جراح

---

[1] ناصر محمد ، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته و خصائصه الفنية 1925–1975 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1985 ، ص 325

[2] -الزمن الأخضر ، ص 341

ممزّق الرؤى ، معذّب الصباح

عيناه تبكيان دم

اتسامه شهقات هم

أسير في ضبابه بلا مصير

أمشي ... و مخلب الأسى

يميت السّمة الحنون

على فمي ..

بهذه الكلمات الهامسة التي تحتوي على حروف الصفير كالسين و الصاد و التي تنساب من أعماق الشاعر ببطء ، لتأثر فينا و تجعلنا مشدودين إليها . فالشاعر من خلال استعماله اللغة الهامسة استطاع أن ينقل تجربته الشعرية ، و عرف بهذه الطريقة كيف يعبر من معاناته في ديار الغربة ، و هو حزين ينتظر أخبار وطنه الذي يئن تحت وطأة الاستعمار ، كما يمكن أن نلاحظ هذه الظاهرة بوضوح و جلاء في قصيدته (صورة)[1] ، (الحزن)[2] .

3 / تطور المعجم الشعري :

دخلت القاموس الشعري مفردات جديدة ، و ارتبطت بالتجارب المختلفة حسب الظروف النفسية و الشعورية للشعراء ، ففي مرحلة الثورة نجد هذه المفردات الدالة على الحرب و الدمار و الشقاء ، و التشرد و المعاناة إلى جانب مفردات أخرى كالثورة و الحرية و التضحية ، و لنأخذ قصيدة (البعث) [3] كمثال واضح لهذا التطور المعجمي للكلمات ، حيث نجد الألفاظ التالية : (السجود ، الليل ، الأرض ، الدمار ، النداء ، الدمع ، القيد ، الشوك ، سياط و جراح ، الزنازين ، النصر ، السلاح ، الفداء ...).

4 / استخدام اللغة البسيطة :

[1] –المصدر نفسه ، ص 333

[2] –المصدر نفسه ، ص 335

[3] – المصدر نفسه ، ص 235

إن تطور الشكل الشعري يقتضي أن تكون لغته أول مظهر من مظاهر هذا التطور و النمو ، لذا فان القاموس الشعري القديم و استعمال الغريب و الشاذ لم يعد ساري المفعول ، لان هذه الطريقة لم تعد قادرة احتواء التجربة الشعرية الجديدة ، و كان على الشاعر حتى يستطيع النفاذ إلى قلوب المتلقين . و يؤثر في وجدانهم أن يستعمل لغة متماشية مع واقع الحياة الحديثة مستجيبة لمشاكلها ، و متداولة على السنة الناس ، و لكن معارضة للقوالب المتوارثة الجامدة لان استعمال هذا الأسلوب تجاوزه الزمن ، فما على الشاعر إلا أن يستخدم لغة فصيحة سلسة تواكب الحياة الاجتماعية ، و لا ريب أن الشعراء الجزائريين – ولا سيما في الاتجاه الجديد – كانوا أكثر وعيا بهذه القضية ، و حرصهم على استعمال لغة سلسة واضحة نابعة من الواقع الجزائري ، يعتبر من ابرز خصائص هذا الشعر ، و قد تجلى هذا الوعي بصفة خاصة في شعر الرواد مثل سعد الله و محمد صالح بآوية و خمار و غيرهم .و بالرجوع إلى ديوان سعد الله نجده قد تفوق في استعمال هذه اللغة –خاصة في قصائده الحرة– فقد جاءت قريبة من الذوق المعاصر ، لا تكلف فيها ولا تصنع ، حيث نجده في قصيدة (أنشودة المزارع و الحقول)[1] يصف حالة الفلاح الجزائري قبل الاستقلال ، الذي يعاني من ظلم الإقطاعي الجشع و لا يعير للفلاح الكادح الذي يؤويه كوخ مهدم أي اهتمام ولا شفقة ولا رحمة .

حتّى م أفترش الحصير
و أساكن الحصير الكوخ الحقير
و أساهر الحرمان و الألم المرير
و تلوك جنبي الخشونة
و يحيطني قبو العفونة
في ظلمة عمياء تطفح بالخشخاش
طول النّهار ... تصوّروا طول النهار
طول النهار ...
استنبت الأرض الخراب

[1]– الزمن الأخضر ، ص 145

طول النهار
كالآلة الخرساء اعمل مطلقا
بدراهم و شتائم
لا غاية تدنو ولا أمل طليق
و أنا هنا
أبدا أنا

من خلال هذه القصيدة يتضح لنا جليا كيف أن اللغة السلسة الواضحة و النابعة من صميم المجتمع تساعد على نجاح العمل الشعري ، لان الشاعر لم يتكلف هذه اللغة فكانت بحق معبّرة عن واقع هذا الفلاح أدق تعبير و أجمل تصوير.

الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية :

الشعر في أي أمة يتأثر بالنواحي السياسية والاجتماعية والثقافية ، وستوضح هنا إلى أي مدى تأثر سعد الله بهذه الجوانب المختلفة وإلى أي مدي ظهر هذا التأثير في شعره من حيث المضمون والشكل ، وقد خصص الفصل الثاني لهذه الظروف .

أولا : السياسيـة .

لقد مرت الجزائر بفترة عصيبة أثناء الاستعمار الفرنسي ، ولولا الثورة المباركة لظلت الجزائر تحت ظلم الاستعمار ما شاء الله لها ، إلا أن هناك ثلة من الشعراء سخروا شعرهم للذود عن هذا الشعب ، وكان منهم سعد الله الذي ما فتئ يدافع عن الجزائر ويساند ثوراتها أينما أحل أو أرتحل ، وهي في قلبه رغم غربته في تونس والقاهرة .

وما يدعم ما ذهبت إليه عناوين القصائد إي أوردها الشاعر في ديوانه " الزمن الأخضر " والدلالات التي تحملها بين جنابتها .

" فالشعر الذي يدعو إلى الثورة ، ويمهد لها ، ويلهب نارها ، ويسمع دويها ، ويدفعها إلى الأمام دفعا ، ويخربها من ظلام الظلم ، إلى ضياء الحق ، ويجعل منها واقعا فعليا بعد أن كانت فكرة وحلما وهو الذي نسميه – ثورة الشعر – "[1]

1– إبراهيم رماني :أوراق في النقد الأدبي،دار الشهاب للطباعة و النشر ،باتنة،الجزائر ،ط1 ،1985 ،ص 37.

ومما سبق ذكره نجد أن ديوان سعد الله يحمل الكثير من القصائد ذات الصبغة الثورية ، سواء من خلال مضامينها أو من خلال عناوينها و من ذلك :

(صرخة الجلاء ، موكب النسور ، غضبة الكاهنة ، طريقي ، قدوة الأحرار ، قصة عملاق ، الثورة ، ليلة الرصاص ، الفدائي ، أمس وغد ، ثائر وحب ، النصر للشعب ، عودة النسور ، المروحة ، عملاقة ، إلى جيل الأطلس .....)

ولو واصلت استعصاء الديوان لوحدت أن أغلب القصائد تحمل إشارات ضوئية ، إما من خلال العنوان . – كما سبق الإشارة – أو من خلال المضمون ، كما في قصيدة عملاقة [1].

بحق الذائدين عن التراب

ومن رفقوا اللواء إلى السحاب

وحق الشعب منتفضا جموعا

يرود النصر قمم الروابي

لقد بعت الجزائر من جديد

عمالقة على الصم الصلاب

جزائرنا القديمة غاب ذل

وهي اليوم منعتق الرقاب

رأت في الثائرين بناة عز

على الدم المقدس والغلاب

[1] – سعد الله :الزمن الاخضر ،ص207.

فلقد كان وقع صدمة الاحتلال كبيرا على الشعب الجزائري ، إلا أن ذلك لم يفقده صوابه وتوازنه فلم يلبث أن جمع قواه من جديد ووحد صفه وزحف ثائرا على فلول المعتدين ، وتقدم الأمير عبد القادر ونال مشعل لقيادة وتعاقبت الثورات المتفرقة إلى أن نهضت ثورة التحرير و أبانت عن قوتها وتماسكها وساندها الشعب الجزائري محققة له الاستقلال والحرية .

ثانيا : الاجتماعية :

كان الدين الإسلامي محط نقمة وغضب من طرف المستعمر الفرنسي الذي قادته صليبيته إلى تحويل الكثير من مساجد الوطن إلى كنائس وثكنات حربية لجيشه إهانة للشعب الجزائري وللدين الإسلامي الحنيف قصد تجريد هذا الشعب من عقيدته حتى يسهل عليه الانقضاض عليه . إلا أن هذا الشعب ظل متمسكا بدينه فلجأ المستعمر إلى حيلة دنيئة وهي إنشاء معاهد خاصة لتكوين رجال دين يمثلون لأوامرها ويطعنون الدين من الداخل .

كما أتهم الدين بالتخلف والبدع وركز على الزوايا وبعض الطرق المنحرفة التي استغلت ببساطة هذا الشعب وأميته فراحت تظله بأكاذيبها .هذه الظروف أوجدت حركة إصلاحية أخذت على عاتقها بعد نهضة هذا الشعب بتوعيته عن طريق نوعية الحرف العربي [1] وأعادت له قلبه النابض بالحياة من خلال المدارس والحلقات التي كانت تقام في

[1]– شعباني الو ناس :تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1980 ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،ط 1988،ص 24

المساجد والمساكن خفية عن المستعمر الذي كان يلاحقها بغلق المدارس والغرامات المسلطة على المعلمين المتطوعين .

ومن ثم ازدهر الشعر ، فكان من الطبيعي أن يرتبط الشعر بالفكر الإصلاحي لأن دعاة الإصلاح احتضنوا التراث والأدب واللغة العربية في الجزائر ، وعبر الأدب عن أهدافه ومراميه " ولذا عرفنا أن معظم الشعراء ما قبل الثورة كانوا منخرطى في الحركة الإصلاحية استطعنا أن نفسر لماذا كان الطابع الغالب على قصائدهم دينيا ، خاصة عند أحمد سحنون [1] "

وفر عبر الأدب بشقيه ، النثر والشعر عن الظروف السائدة في الجزائر – آنذاك من فقر وجوع وجهل وتشريد .....فأخذت جمعية علماء المسلمين الجزائريين على عاتقها إرسال الطلبة إلى المشرق العربي ليتزودوا بالعلم حتى إذا رجعوا أسرعوا في علاج الأمراض الاجتماعية المتفشية في المجتمع الجزائري .

وقد وظف سعد الله في ديوانه بعض المواضيع والقضايا الاجتماعية التي كانت سائدة في عصره آنذاك ، إلا أن تناوله كان رمزيا ، بعيدا عن توظيف الدلالات والألفاظ الجاهزة التي شاعت عند الشعراء الجزائريين الذين سبقوه ، وهذا ما يظهر جليا في

قصيدة (**الجرح والمصير**).

[1]– **المرجع السابق ، ص25.**

الناس والضياع والألم

وآهة الغروب والندم

والنغمة الخابية الإيقاع

وكل فكرة بلا هدف

وخاطر شبك أو يلتاع

قد اختفت مصحف التحرير

وجردت من وقعها الحزين

وجمدت في متحف السنين

لأنها لا تملك التأثير

في الشعب ....في النضال الجرح

في المصير !

الجرح..... جرح الشعب

فالتموه واطلبوا الغفران

واخفضوا من صوتكم

فالصمت عند منحة السلاح

وروعة الكفاح

من أقدس الإيمان !

فسعد الله استعمل ألفاظا رمزية للدلالة على الوضع الاجتماعي والسياسي .....الذي كان سائدا وقتها.

ثـالثا : الثقافيـة :

لقد كان بالجزائر مراكز ثقافية رفيعة ، فلم يكن ازدهار العلم والثقافة حديث العهد حين نكبت بالاحتلال الفرنسي في مطلع القرن التاسع عشر ، بل كان يضرب بجذوره إلي مئات السنين ، ففي القرنيين الرابع عشر والخامس عشر ظهرت بالجزائر مركز ثقافية رفيعة ، وأساتذة أعلام نبغوا في شتى العلوم ، كجامعة تلمسان التي يبتع منها نور المعرفة والثقافة في شمال إفريقيا ، حيث كانت أوروبا تتخبط في ظلام الجهل والهمجية . ولا يسعنا إلا أن نقف عند الحياة الثقافية سنة1830[1]حيث كان بالجزائر2000مدرسة وأربع جامعات دراسية بكل من مدن الجزائر العاصمة وقسنطينة وتلمسان ، وكانت هذه المعاهد تضم 180ألف طالب من مجموع الشعب البالغ تعداده ثلاثة ملايين ونصف نسمة وبعد الاحتلال أصبح عدد المدارس في سنة 1870ستا وثلاثين (36) مدرسة تضم 6000 تلميذ بينما انعدمت المعاهد العليا والجامعات التي كانت تضيء الجزائر بنور ثقافة أصيلة انعكست على الحياة الاجتماعية ، والاقتصادية والسياسية للشعب الجزائري فازدهرت حضارته بازدهار ثقافته .

ولم تكن نسبة الأمية عام 1830 سوى 14% وبعد مائة وخمسة وعشرين عاما من الحكم أصبحت نسبة الأمية 92% عام 1955 [2]

وعليه فقد امتلأت الطرقات بضحايا الجهل والأمية من الشباب الذي اضطر إلى العمل مابين المناجم والحقول ، مسح الأحذية ، وهذا يدل على أن تعليم الأهالي كاد يكون

---

[1]– أنور الجندي :الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا ،مطابع الدار القومية ،القاهرة ،د ط،1975 ،ص132.

[2]– سعد زغلول فؤاد :عشت مع ثوار الجزائر ،دار العلم للملايين ،بيروت ،لبنان ،د،ط،1961 ،ص 34.

مهملا من طرف الحكومة التي عهدت إلى تجديد الشعب من قوميته وذلك بالقضاء على ثقافته الوطنية بإلغاء المدارس والمعاهد العربية التي كانت إحدى حلقات العلم والثقافة ، ولم تقف سياسة التجهيل عند هذا الحد بل تطاولت يد المستعمر إلى المساجد التي كانت مقرا للعبادة والعلم فاستولت عليها حتى يتسنى لها القضاء على اللغة العربية ، وجعل اللغة الفرنسية لغة الدرس منذ قرار 1834، ونتيجة لهذا الشديد على مدرستي العربية هاجر معظم الأساتذة من البلاد ، ولم يبق من المدارس إلا عددا محدودا.

وقد تأثرات هذه الثقافة بهذه الأحداث التي خلفها المستعمر فاضمحل الأدب المكتوب ، واللغة الرفيعة ، وهكذا فقد المتفقون الجزائريون تدريجا اتصالهم بماضيهم نتيجة لفقدان الكتب والمدارس بلغتهم [1] وبذلك انحصر التعليم في " الزوايا " ، وكان لهذا التعليم الفصل في الحفاظ على اللغة العربية ، وكانت مناهجه قديمة تعنى بتدريس النحو والصرف والفقه .

مما أضر بتقديم الأدب والشعر الذي أصبح يتناول موضوعات عنيفة ولا يخوض في قضايا المجتمع ، وبذلك أصبح الشعر يروج بين الزوايا والطرق الصوفية ، الأمر الذي جعله ينحصر في الناحية الدينية .

[1]– سعد الله أبو القاسم :الحركة الوطنية ،دار الآداب ،د،ط،1967 ،ص 73 ،75.

ولم يسلم هذا التعليم – الزوايا – من مطاردة السلطات الفرنسية التي أغلقت المدارس الأهلية والزوايا ونفت المدرسين والطلبة من هذه المعاهد منذ بداية الغزو حتى كادت تختفي الطبقة المثقفة في هذا الميدان خاصة [1] لقد سارعت فرنسا قوانين الاضطهاد

اللغة العربية ، ففي 1980 أصبح التعليم الفرنسي إجباريا على الأهالي الذين رفضوه، إذ لم يكن هذا التعليم حبا في الجزائريين ، كان الغرض منه دمجهم ومسح شخصيتهم الوطنية .

وفي سنة 1904 أصدرت فرنسا قانونا ينص " على عدم السماح لأي معلم مسلم أن يتولى إدارة مكتب لتعليم اللغة العربية بدون ترخيص يمنحه إياه قائد الفيلق العسكري والتصريح لا يعطى إلا بضمانات *[2].

وهكذا يتضح أن الاستعمار لم يأت إلى الجزائر لنشر " حضارة " كما كان يدعي ، وإنما جاء ليسلب أفكا الشعب ويزود تاريخه ، وبذلك تعرضت شخصية الأدب الجزائر ي التي ظلت محتفظة بمقوماتها وملامحها إلى هزات عنيفة كادت تفقدها تلك المقومات والملامح لأنها لم تستطيع أن تواجه الغزو الثقافي بنفس العتاد الذي جاء به الاحتلال في عنفوانه وانتقامه ، ولم تستطع أن تطور ذاتها ، ونتج عن هذا التباطؤ من جانب الحركة الأدبية وفقدان التوازن بين قوة العناصر الوطنية ، وبين وسائل الاحتلال ، تحجروا في الحركة الأدبية عموما وحركة الأدب على الخصوص،فقد تشتت كل الجهود العقلية المنتجة وتشرد الأدباء والشعراء

---

[1]– الركيبي عبد الله ،الشعر الديني الجزائري الحديث ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر ط1،1981 ص31 ،30.

* للتوسيع في هذه الضمانات ينظر :تطور الشعر الجزائري ،الو ناس شعبان ،ص12ومابعدها

[2]– نور الجندي :الفكر و الثقافة المعاصرة ،ص132.

، وشغل الناس عن الأدب والشعر ولم يعد من همهم التعبير الجميل لأن ذلك لن يغنيهم عن النار التي يتلظون بها ، لذلك .

ساد الركود والجمود حركة الأدب حقبة طويلة [1] وقد بلغ هذا الركود ذروته في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وفي الربع الأول من القرن العشرين إلى درجة أننا لا نكاد نعثر على اسم واحد في دنيا الأدب [2] .

بداية النهضة الثقافية وعواملها :

مما سبق الإشارة إليه أن الجزائر كانت ميدانا للاضطهاد الثقافي الذي قضي بتأخر نهضتها في مختلف المجالات ، ومنها مجال الأدب ، إلا أن بوادر النهضة بدأت تلوح في الأفق مع منتصف العشرينيات من القرن العشرين ، حيث شهدت هذه السنوات محاولات جادة للقضاء على التأخر والجمود والدعوة إلى التجديد في مختلف مجالات الحياة .

أهم عوامل النهضة الثقافية في الجزائر :

1- جهود علماء الإصلاح العائدين بين المشرق العربي ، ومن تونس " حيث ظهر أقوى عمل في تاريخ المغرب العربي كله الإحياء اللغة العربية في مخطط جمعية العلماء

[1]- سعد الله أبو القاسم : دراسات في الأدب الجزائري ،ص 21 ،22.

[2]- بن عيسى حنفي : الرواية الجزائرية المعاصرة ،عن مجلة الثقافة الجزائرية ،(ع7- 9)،تموز ،1972 ،ص 63.

المسلمين الجزائريين "[1]. حيث استطاعت إنشاء ثلاث مائة مدرسة على الرغم من كل القوانين * والمخالفات وأعمال الاضطهاد الممارسة ضد أعضائها .

2- الصحافة :

لقد تفطن علماء الإصلاح لأهمية الصحافة في إيقاظ الشعوب وحماية نهضته ، فعمدوا إلى إنشاء الصحف الوطنية لنشر التعليم والعلم بين فئات الشعب ، والأخذ من حضارة أوروبا ما ينفع أمتنا الإسلامية العربية ، وما يتماشى مع ثقافتنا ، فقد ظهرت في مدينة عنابة سنة 1894 أول صحيفة عربية هي " جريدة الحق " أنشأها الأدباء المصلحون * ، وكانت أسبوعية حيث دامت عاما كاملا ثم قضى عليها الاستعمار ، كما أنشأ الشيخ عمر بن قدور [2] سنة 1943 جريدته (الفاروق) والتي كانت منتظمة الصدور حتى سنة 1915 لكن يد المستعمر أوقفتها ، وفي سنة 1925 صدرت في قسنطينة (المنتقد) والتي كان رئيسها ابن باديس .

لكن فرنسا قضت عليها في نفس السنة ، فأصدر بعدها " الشهاب " التي عمرت عشر سنوات ، وكان لها أثرها الكبير في النهضة الثقافية ، وقي سنة " 1926 أصدر الشيخ

---

[1]- انور الجندي : الفكر و الثقافة المعاصرة ،ص 41 ،49.

* في سنة 1938صدر قانون شوتان (Chautane) الذي يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر.

* من مؤسسيها: سليمان بن نبقي ،عمر السمار ،خليل قايد العيون.

[2]- بن قينة عمر: فيالادب الجزائري الحديث تأريخا و أنواعا و قضايا ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر د،ط،ص50

أبو اليقضان جريدته الأولى (واد ميزاب) وأوقفتها الحكومة الفرنسية سنة 1929 ، وصدر منها (199) عددا " [1] .

ومن أهم الجرائد الجزائرية (البصائر) لسان حال جمعية علماء المسلمين الجزائريين التي ظلت تصدر إلى غاية 1956 مع بعض التوقف بتأثير من المستعمر .

وإضافة إلى الصحف والجرائد الصادرة ، كان الاتصال بالثقافة العربية في المشرق العربي عن طريق الجرائد التي كانت ترد الجزائر ، إنها وجدت مطاردة من طرف فرنسا ومن هذه الجرائد (الشورى) السورية ، وصحيفة (المؤيد) المصرية . [2]

وكان تأثير هذه الجريدة واضحا في مجال الإصلاح الديني والتحرر الفكري ، وليس الموقف دون ذلك تأثيرا في المجال الأدبي ، بل لا يكاد يشك مؤرخ منصف بأن النهضة الأدبية في الجزائر صدى لرائدتها في المشرق ، عليها تخرج شعراء الجزائر وعلى هديها سجوا ، بإشعاعاتها تلمسوا طريقهم في الإنتاج [3] وفي الصحافة الوطنية تكونت طائفة من المثقفين حيث ثم نشر الشعر بين القراء .

---

[1]– للإضافة بنظرة أنور الجندي :الفكر و الثقافة المعاصرة ،ص 130 و ما بعدها

[2]– بن قينة عمر :في الأدب الجزائري الحديث تأريخا و أنواعا و قضايا و إعلاما ،ص 41.

[3]– خرفي صالح :المدخل في الأدب الجزائري الحديث ،مجلة الثقافة (الجزائرية)،عدد21 ،ص 44،45.

3- نـــادي الترقـي :

تأسس سنة 1926 بفكرة من أحمد توفيق المدني ومحمد المرابط وجمع هذان الرجلان مجموعة من المصلحين [1]في الجزائر العاصمة للتفاوض حول إنشاء ناد يجمع كلمة المسلمين في الجزائر ويوحد صفوفهم في مواجهة الطائفية التي شتت الجزائريين ، وقد انضم إليهم سنة 1930 الشيخ الطيب العقبى كمحاضر، وعد النادي من أهم " أسباب نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بل لقد نشأت في أحضانه " [2]

4- دورة تونس والمشرق العربي في نهضة الجزائر :

سافرت إلى تونس مجموعة من الطلبة الجزائريين الذين فروا من الاضطهاد الفكري والثقافي في الجزائر ، ومع العقد الأول من القرن العشرين بدأ عدد الطلاب في تزايد مستمر ، إذا شهدت فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى تدفعا من أفواج الطلبة الجزائريين على جامعة الزيتونة التي صارت وجه كل ما يريد الثقافة العربية الأصلية ، ومن بين هؤلاء الطلبة : أبو القاسم سعد الله ، محمد آل العيد خليفة ، مفدى زكريا ..... وغيرهم ، وقد بلغ " عدد الطلبة الجزائريين في جامعة الزيتونة وحدها ما يقرب عن ألف تلميذ "[3] .

من هؤلاء المصلحين :محمود بن ونيش ،الحاج عماد المصالي ،عمر بن الموهوب،قدور بن مراد التركي،محمد آزمري وغيرهم للتوسع --- [1]بنظرة شعباني الو ناس ص 15.

[2]- المرجع السابق، ص 16.

[3]- المرجع السابق ،الصفحة نفسها.

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، بدأت الجزائر تزداد انفتاحا على العالم الخارجي عربيا وإسلاميا كما زادت الطلبة بالمشرق العربي من تخفيف حدة الخناق الذي كانت تفرضه السلطات الاستعمارية على الجزائر ، وكان هذا عبر روافد عديدة : كالصحافة والحجاج والبعثات الدراسية إلى الزيتونة أو إلى "الأزهر الشريف الذي أنجب لنا الشيخ العربي التبسي "[1]. أو إلى المغرب والسعودية التي أنجبت لنا عالمين جليلين هما الشيخ الطيب العقبى والبشير الإبراهيمي وقد أحدثت هذه الروابط الروحية والعقلية بين المشرق والجزائر حركة علمية وأدبية متميزة ، كما لا تنكر فضل الأشقاء العرب بالمشرق أو بالمغرب على نهضتنا .

ب / حيـاة الشاعـر :

مدخل :

لقد كان للكلمة الفنية صوت مسموع ، في مضمار الحروب والمحن ، وزفرة جريحة في هذه المأساة وأصداء متجاوبة في تجسيم أبعادها ، فالنص الأدبي القاتم لم يتمخض إلا عنها ، ولم يترعرع إلا في أحضانها ، فالأديب حامل الثقافة العربية كان الضحية الأولى للمأساة ، والمرامي المستهدف بشظاياها ، فهو العدو الأبد للمستعمر، يفسر عليه خصصه ومشاريعه . ويفضح نواياه وغاياته ، فمنهم من قضى نحبه ومن ينتظر . ومن هؤلاء الأدباء الذين قدموا أنفسهم خدمة لوطنهم بالكلمة لصادقة ، أثناء الاحتلال أو بعد الاستقلال ومازال

[1]– أنور الجندي :الفكر و الثقافة المعاصرة ،ص 137،142.

يقدم التضحيات الجسام في تنوير عقول شباب الجزائر من منبر الجامعة الجزائرية الحرة ، بالكلمة النبيلة والمعلومة المفيدة ، والرسالة التعليمية الإصلاحية . إننا أمام شاعر صقل متمهل ، يروض الكلمة والقول ، ويختبر الحياة قبل أن يضفرها في تشكيل شعري .

أ / مولـده :

ولد أبو القاسم في قرية (البد وع) [1]بجوار مدينة قمار [2]بوادي سوف ، ولا يذكر أهله سوى أنه ولد في صيف شديد الحرارة سنة إعادة ترميم الجامع الكبير ومدرسة بقمار حوالي 1930.[3]

وكان أهله من أوائل السكان الذين لجئوا إلى قرية (البد وع) فغمروها بغراسة النخيل لشساعة أرضها وعذوبة مائها ، كما أنهم يذكرون – أيضا – وقت ميلاده كانوا لا يفترسون سوى الرمال الذهبية ولا تظلهم غير سقائف من جريد النخل ، كبقية عائلات سوف ، فكان هو كذلك عند خروجه إلى الدنيا ، فراشة الأرض وغطاؤه السماء .

ب / تعلمـه :

دخل جامع(البد وع) عندما بلغ الخامسة من العمر ، أين حفظ القرآن الكريم والمتون ثم توجه بعد الحرب العالمية الثانية ، أي سنة 1947 إلى جامع الزيتونة بتونس ، مشاركا في الوسط الأدبي أين حصل على شهادة الأهلية سنة 1951 ، وعلى التحصيل سنة 1954 ،

---

[1]– تبعد عن مدينة قمار بحوالي 4 كلم.

[2]– تبعد عن مدينة الوادي بحوالي15 كلم.

[3]– لم تحدد سنة ولادته بالضبط فهي تتأرجح بين 1930 أو 1931 ،أفكار جامحة ،ص 177

وبعد عودته إلى أرض الوطن اشتغل إلى بممارسة التعليم سنة 1954 في مدرسة (الثبات) بمدينة الحراش ، تحت إدارة الشهيد الشاعر الربيع بوشامة ، وفي سنة 1955 انتقل للتعليم في مدرسة (التهذيب) بالغي الباردة . تحت ستار السفر إلى الحج التحق في أكتوبر 1955 بمصر وانتسب إلى كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، وتخرج منها سنة 1959 بالليسانس في الأدب العربي والعلوم الإسلامية ، وبعد سنة حصل منها على سنة أولى ماجستير في النقد الأدبي ، ثم سافر أواخر 1960 إلى الولايات المتحدة الأمريكية في بعثته وانتسب إلى جامعة منيسوته التي حاصل منها على شهادة الماجستير في التاريخ والعلوم السياسية سنة 1962 ، وعلى شهادة الدكتوراه في نفس التخصص سنة 1965 وبعد ممارسة التعليم سنتين في جامعة وسكينسن بأوكلير التحق في خريف 1967 بجامعة الجزائر إلى أن تقاعد .

وقد درس من اللغات الأجنبية : الانجليزية والفرنسية والفارسية والألمانية ، ومبادئ الاسبانية .

ج / ثقافتـه :

كانت بدايته الثقافية بحفظ كتاب الله العزيز في مسقط رأسه بقرية (البد وع) لأن البيئة التي نشأ فيها كانت ذات ثقافة عربية إسلامية محافظة جدا ، وفي هذه الصحراوية بدأ قرض الشعر ، وكان ذلك صيف 1948 بعد أن عاد من تونس أثناء العطلة الدراسية .

انتقل إلى بيئة مشابهة وهي منطقة البريد التونسي ، التي زوال فيها دراسته بالزيتونة أين بدأت ثقافته تتضح من خلال المنافسة العلمية بينه وبين زملائه في حلقات الدروس ، وكان لهذه المنافسات أثرها البالغ في تكوين سعد الله ، ومن الطريف أن أحد زملائه كان يقرأ الشعر الشابي وينسبه لنفسه مما جعل سعد الله بالحرج ، لأن شعره لم يبلغ مستوى شعر الشابي فكان ذلك تحديا له لمواصلة قراءة الشعر .

اتجه سعد الله إلى الاتجاه الرومانسي في شعره ، وكان ذلك نتيجة الظروف البيئية التي شب فيها سواء في واد سوف أو في تونس حيث رمال الصحراء الذهبية وأصوات الحيوانات وصفاء الطبيعة ونقاءها حيث كانت عوامل ساعدت سعد الله على تنمية ثقافته الأدبية وسلوكه المنحى الرومانسي .

انكب على شعر المتنبي فحفظ أغلب قصائده كما كان لإيليا أبي الماضي أثر في ثقافة سعد الله لإعجابه بقصيدة "الطلاسم " مما تحمله من تمرد وشك وتردد ، كما قرأ للشبابي وجبران خليل جبران كل كتبه وأولع بالشعر المهجري وبشعر مدرسة أبو لو .

خاصة شعر أحمد زكي أبو شادي ، كما نال مصطفي صادق الرافعي حظا وافرا من ولع سعد الله بمطالعته لأهم مؤلفاته كرسائل الأحزان وأوراق الورد ، والسحاب الأحمر .

بدأت تجربته الشعرية في نظم الشعر الحر من خلال متابعته لمعركة القديم والجديد في مصر على صفحات (الرسالة) و (الثقافة) وغيرهما ، وتمرد أصحابه ونحررهم من المفاهيم السائدة في مختلف أوجه الحياة " إنه جزء من ثورة أو شكل من أشكال الثورة"[1] .

إلى جانب إعجابه بهؤلاء الشعراء خاصة في الشعر الحر و ولعه بشعر نزار قباني الذي وجد هوى في نفس الشاعر الشباب ! كما كان (الرابطة القلم الجديد) [2]، أثرا في صقل ثقافة سعد الله الأدبية وتوجيهها الوجهة الصائبة ، من خلال الاجتماعات الأدبية التي كانت تعقد بين أعضائها .

بدأ سعد الله ينشر إبداعاته الشعرية في مجلة (المعارف) التونسية (البصائر) الجزائرية و(الأدب) البيروتية ... وغيرهم .

عاد إلى أرض الوطن سنة 1954 وانقطع عن النشاط الأدبي بسبب ظروف الجزائر السياسية – آنذاك – إلا أن علاقته بالشعر الحر والعمودي لم تنقطع وظلت وثيقة ، فقد نظم ونثر بعض قصائده مثل (طريقي) [3]و(أنشودة المز راع والحقول)[4].

انتقل للدراسة بالقاهرة في خريف 1955 فتوثقت صلته بالشعر الحر ، من خلال الندوات والمهرجانات الأدبية التي كانت تقام ، فتعرف على شعراء مصر المتمردين ، أمثال

---

[1]– سعد الله أبو القاسم : أفكار جامحة ،ص 184.

تضم مجموعة من الادباء الشبان ،معضمهم تونسيون و معهم بعض الجزائريون منهم سعد الله ،والشادلي زوكار وابن حميدة ومنور صمادح ....وليس لهذه الرابطة قانون أساسي و لا مقر يجتمعون فيه مما اضطرهم للاجتماع – احيانا – في المقاهي أو في الهواء الطلق --المصدر [2]السابق ،ص (185،186)

[3]– نشرت في 15 مارس 1955 بأبيار.

[4]– نشرت في 28 مارس 1955 بالأبيار.

أحمد عبد المعطي حجازي وصلاح عبد الصبور ، ومن الشعراء الشباب فاروق شوشة وإسماعيل الصيفي ومع نقادها كمحمود أمين العالم [1] ورجاء النقاش وغالي شكري

د / نشاطاتـه :

خلال تواجده في تونس للدراسة بدأ بنشر بعض قصائده في جريدة (النهضة) و (الأسبوع) التونسيتين و(البصائر) الجزائرية و(الآداب) اللبنانية ، كما ساهم منذ حوالي 1948 في نشاط الطلبة الجزائريين بتونس وإنشاء (رابطة القلم الجديد) .

أما في القاهرة ، والتي كانت مركز إشعاع فكري وسياسي ، فقد شارك منذ سنة 1956 في نشاط اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين الذين كانت تشرف عليه مصالح جبهة التحرير الوطني كعضو وكمسئول ، وقد مثل هذا الاتحاد في عدة مؤتمرات منها المؤتمر التأسيسي للاتحاد العام للطلبة العرب واتحاد طلاب فلسطيني بالقاهرة ، حوالي 1958 والمؤتمر الدولي للطلاب بأمريكا سنة 1961 . وفي الولايات المتحدة الأمريكية كان ضمن فرع الاتحاد العام للطالبة المسلمين الجزائريين كما انظم إلى منظمة الطلبة الإفريقيين (بمني سوته). هذا وقد ألف وترجم العديد من الأعمال الأدبية والفكرية والتاريخية وقد نشر بعضها في الجزائر والباقي في الأقطار العربية ، وقد تغرف في الفترة الأخيرة للبحث والدراسة في التاريخ الجزائري .

[1]– هو الذي كتب له مقدمة ديوانه (أغاني الجزائر)سنة 1958 ’ولكن الديوان لم يطبع.

هـ / مؤلفاته :

وسعد الله إلى جانب تدريسه وإشرافه على بحوث الطلبة بمعهد ، العلوم الاجتماعية بجامعة الجزائر ، معروف بنشاطه الدءوب ، ومؤلفاته العديدة ، وبحوثه المستفيضة في الأدب والتاريخ والفكر .

من أهم مؤلفاته :

1- **في الأدب :**

- النصر للجزائر (شعر) 1986 .
- ثائر وحـب (شعر) 1977 .
- الزمن الأخضر (ديوان) 1985 .
- سعفة خضراء (قصص) 1986 .
- دراسات في الأدب الجزائري الحديث 1985 .
- محمد آل العيد خليفة ، رائد الشعر الجزائري الحديث 1984 .
- حكاية العشاق في الحب والاشتياق رواية (تحقيق) 1983 .
- القاضي الأديب : الشاذلي القسنطيني 1985

- تجارب في الأدب والرحلة 1984 .

- أشعار جزائرية (تحقيق) 1988 .

2- في التاريخ :

- الحركة الوطنية الجزائرية (الجزء الثاني)1983.

- الحركة الوطنية الجزائرية (الجزء الثاني)1986.

- الحركة الوطنية الجزائرية (الجزء الأول)1989.

- محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)1982.

- حياة الأمير عبد القادر (ترجمة كتاب تشرشل عنه)1982.

- أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر (الجزء الأول)1982.

- أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر (الجزء الثاني)1986.

- أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر(الجزء الثالث)1988.

- الجزائر و أوربا (ترجمة كتاب جون وولف)1986.

- تاريخ العدواني (تحقيق)1989.

- تاريخ الجزائر الثقافي 1988.

3- دراسات و أبحاث عامة:

- منطلقات فكرية 1982.

- المفتي الجزائري ابن العنابي رائد التجديد الإسلامي 1985.

- رحلة ابن حمدوش الجزائري :لسان المقال (تحقيق)1983.

- الطبيب الحالة : عبد الكريم الفكون 1986.

- منشورات الهداية في كشف حال مراد عن العلم و الولاية ،لعبد الكريم الفكون (تحقيق)1987.

- أفكار جامعية 1988.

- قضايا شائكة 1989.[1]

[1]- **سعد الله أبو القاسم :أفكار جامحة ،ص 291 ، 292.**

بين يدي الديوان :" الزمن الأخضر "

يعد سعد الله من الأصوات الشعرية البارزة إبان حقبة زمنية [1]من تاريخ الجزائر وهذا لما يتميز به من شاعرية مبدعة تجسدت في ديوانه " الزمن الأخضر " ولعل ما يميز هذا الصوت الشعري أن ديوانه يمثل مظهرا فنيا وفكريا مغايرا لغيره ،بحيث يجد فيها الباحث /القارئ أو المتلقي صوتا شعريا متميزا ،كما يمكن أن يلمي فيه الباحث تدرجا ظاهرا في البناء الفكري و الفني ،فبينما كانت بداياته الأولى تفتح صدرها للقارئ أو المتلقي وتلقاه بوضوح وسفور وتفسح له في رحابها مكانا أثيرا، وتجود له برحيقها الحلو الشهي خالصا ينتج منه ما شاء وطابت به نفسه له في عسل مصفّى ،جاءت نهايته ناضجة متطورة ،وأعطانا فصوفها صفحات تقيم للشعر الحقيقي موسما في زماننا الذي اختلطت فيه الأصوات و اللاحقون يعزفون على أوتار السابقين.

وقد وضعت قصائده التي تنتمي للشعر الحر القارئ أو المتلقي في مواجهة تحديات الحداثة أو الغموض ، حيث لا يتاح لكثير من القراء سهولة الكشف عن مضامينها الفكرية ،وان أسفرت لهم عن كثير من جمالياتها الإبداعية.

وقارئ الديوان لا يخطئ المحاور الأساسية التي أدار عليها قصائده وأودعها رؤاه الفكرية والتي أهمها " محور الوطن "من خلال أضخم مآسيه و فواجعه التي تفشت فيه وامتدت إلى العنوان لتجسد أمل الشاعر في عز واعد ثمّ "محور الحق " وما ينطوي عليه من

[1]– بدأ قرض الشعر في نهاية الأربعينيات و انتهى منه في نهاية السبعينيات.

معاناته البالغة و الذي استأثر قسطا و حيزا من قصائد الديوان ، ثم كان " محور العلاقات الخاصة " التي يشارك في التعبير عنها مشاركة شعرية بالغة التعبير و التأثير عبر بعض القصائد ،و منها مرثاته لابن باديس " نجوى العبقرية "[1] ومشاركته للشاعر محمد عيد آل خليفة في " هزاز الشعر " [2]بمناسبة سكوت محمد العيد فترة عن قرض الشعر و غيرها ،يعد هذا الديوان ثمرة تجربة شعرية عايشها الشاعر بكل تفاصيلها طيلة ثلاثين سنة أو يزيد ،فقد بدأ قرض الشعر سنة 1984 بتونس و أنها بآخر قصيدة 1978 بأمريكا ويضم بين دفتيه حوالي 120 قصيدة كتب معظمها في العقد السادس من القرن العشرين ،حيث صادفت عهد شباب الشاعر و عنفوانه ،كما صادفت الثورة التحريرية الكبرى سنة 1954.

على هذا الأساس فقد احتوى الديوان عاطفتين متباينتين ،إحداهما ذاتية يعبر فيها سعد الله عن أحاسيسه و عواطفه الرومانسية ،الحزينة المتسمة بالكآبة و اليأس، وعاطفة أخرى تعبر عن لهيب ثورة نوفمبر وتواكب بركانها الهادر – فقد كتب سعد الله قصائده رائعة وخلد ملاحم بطولية. وقد ألف سعد الله الديوان – الزمن الأخضر – مؤخرا 1984 فجمع فيه كأشعاره التي ألقت وكتبت في الجزائر ، تونس ، القاهرة و أمريكا ، سواء كانت جملة في المجموعتين الشعريتين *أو المتفرقة في مخطوطات لم تنشر من قبل .

---

[1] – سعد الله:الزمن الأخضر ،ص 75.

[2] – المصدر نفسه ،ص 69.

* المجموعتان الشعريتان هما: النصر للجزائر وثائر و حب.

أما بالنسبة للموضوعات التي احتواها الديوان فيمكن أن نجملها في هذه النقاط الخمس:

- قصائد ذات رومانسية .

- قصائد تتميز بالغربة و الحنين إلى الوطن .

- قصائد تمثل تجارب الحب .

- قصائد تناولت موضوعات متنوعة .

وقد كان موفقا في اختيار عناوين قصائده حسب محتوى كل قصيدة ،وإذا عدنا إلى التقسيمات السالفة الذكر – حسب المواضيع – نجد ما يلي:

- قصائد ذاتية رومانسية :(نشوة الروح ص 59 ،(الجمال الحالم)ص 65(أغاريد الجمال) ص 87،(نجمة الغروب)ص 359 ،(سنلتقي) ص 317 ،(لا تغربي)ص 321 .

- قصائد تصف الثورة و تجسد نضال شعبي :(ليلة الرصاص) ص181 ،(الثائر الأسير) ص 221 ،(شاعر حر)ص 227 ،(ثائر وحب)ص 195،(بربروس) ص 223 ،(صرخة الجلاء) ص 121 ،(أوراس)ص 249 ،(كفاح إلى النهاية) ص 283 ،(شعب الله)ص 313.

– قصائد تتميز بالغربة و الحنين إلى الوطن :(وطني)ص 217،(في غابة البشر)ص 293 (ليل و شوق)ص 303 ،(بحيرة الأحزان)ص 315 ،(شك)ص 325 ،(ورق)ص 329.

–قصائد تمثل تجارب الحب :(إنسانية)ص 225 ،(الشفة الو لهى)ص 83 ،(الخطاطيف)ص 163 ،(الصورة)ص 333 ،(الحزن)ص335 ،(القلب الصوفي)ص 339 ،(الليل و الجرح)ص 341 ،

قصائد متنوعة الموضوعات :لغتي وهي نشيد مدرسي للأطفال ص 167 ،(نجوى العبقرية)(ذكرى ابن باديس)ص 27 ،هزاز الشعر (رسالة إلى محمد العيد آل خليفة) ص 69 ،الخائن ص 301.

وما نلاحظه في الديوان أن القصائد النضالية الثورية الوطنية هي الطاغية عليه إذ تشكل النسبة الأكبر من قصائده.

أما من الناحية الفنية فإن " الزمن الأخضر "يحتوي قصائد عمودية متنوعة القوافي ويظل العدد الأكبر منها مثلا في التكرار.

كما تتضمن قصيدتين من الشعر المنثور الذي شاع في لبنان بادئ الأمر مع مطلع الخمسينيات وهي نفس الفترة التي كتب فيها سعد الله قصيدته (إلى أين)[1] و (أيها الشعب)[2]

[1]– سعد الله :الزمن الأخضر ،ص111 ، وقد كتبها سنة 1954 بتونس.

[2]– سعد الله :الزمن الأخضر ،ص191 ، وقد كتبها سنة 1955 بالقاهرة.

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم : برواية ورش عن نافع .

أولا : المصادر :

(1) سعد الله أبو القاسم:– أفكار جامحة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر د . ط ، 1988

(2) : – ثائر وحب ، دار الآداب ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ،1977

(3) :– الحركة الوطنية ، دار الآداب ، بيروت ، لبنان د . ط ، 1967

(4) :– دراسات الأدب الجزائري الحديث ، التونسية للنشر تونس والمؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط 3 ، 1985

(5) : – الزمن الأخضر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، د . ط 1985

(6) : – النصر للجزائر ، دار الفكر ، القاهرة ، مصر ، 1957

ثانيا : المراجع :

(1) أدو نيس : – الشعرية العربية ، دار الأدب ، بيروت ، لبنان ،ط 3 ، 2000

(2) : – مقدمة للشعر العربي ، دار البعث ، دمشق ،سوريا ، د.ط تشرين 2004

(3) الجندي أنور: الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا ، مطابع الدار القومية ، القاهرة د . ط ، 1975

(4) الحاوي إيليا :–إيليا أبو ماضي شاعر التساؤل والتفاؤل ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، د . .ت

(5) الرافعي محمد صادق :– رسائل الأحزان ، دار الهلال ، مصر ، د . ط ، 1924

(6) الربيعي محمد : – في نقد الشعر ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د . ط ، 1988

(7) : – قراءة الشعر ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة د. ط 1977

(8) الصباغ رمضان :– عناصر العمل الفني دراسة جمالية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، القاهرة ، د . ط ، 1999

(9) : – في نقد الشعر العربي المعاصر دراسة جمالية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، القاهرة ، ط 1 1998

(10) القط عبد القادر : – الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان ، ط 2 ، 1981

(11) : – في الأدب العربي الحديث ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د . ط ،2001

(12) الورقي السعيد: – لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، 1984

(13) بن سمينة محمد :– في الأدب الجزائري الحديث ، النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر مؤثراتها – بداياتها – مراحلها ، مطبعة الكاهنة ، الجزائر ، د . ط، 2003

(14) بن قينة عمر : – في الأدب الجزائري الحديث تأريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر د . ط ، 1995

(15) حسن فتح الباب : – رؤية جديدة لشعرنا القديم ، دار الحداثة ، بيروت ، لبنان ط 1 ، 1984

(16) حمود محمد : – الحداثة في الشعر العربي المعاصر بيانها ومظاهرها الشركة العالمية للكتاب ، لبنان ، ط 1 ، 1996

(17) خفاجي محمد عبد المنعم : النقد العربي الحديث ومذاهبه ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، مصر ، د . ط ، 1975

(18) رتشاردز : – العلم والشعر ، ترجمة محمد مصطفي بدوي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، د. ط . د . ت

(19) ركيبي عبد الله : – الشعر الديني الجزائري الحديث ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائري ، ط 1 ، 1981

(20) شعباني الو ناس : – تطور الشعر الجزائري منذ 1954 حتى 1980 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د . ط ، 1988

(21) صبحي محي الدين : – مطارحات في فن القول محاورات مع أدباء العصر دار العودة ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، 1979

(22) ضيف شوقي : – في النقد الأدبي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1981

(23) عفيفي محمد الصادق : – النقد التطبيقي والموازنات ، مكتبة الوحدة العربية الدار البيضاء ، المغرب ، د . ط ، 1972

(24) محمود أمين العالم وآخرون : في قضايا الشعر العربي المعاصر ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، د ، ط ، 1988

(25) هلال غنيمي : النقد الأدبي الحديث مصادره الأولى تطوره فلسفاته الجمالية ومذاهبه ، دار ومطابع الشعب ، القاهرة ، ط 3 ، د . ت

ثالثا : المعاجم :

(26) فؤاد إفرام البستاني : منجد الطلاب ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، ط 32 ، 1987